حديث القرآن الفصيح

عن فوائد وعواقب الريح

إعداد

د. علي بن عمر السحيباني

أستاذ مشارك بقسم القرآن وعلومه

جامعة القصيم

حديث القرآن الفصيح

عن فوائد وعواقب الريح

ملخص البحث

يتكون هذا البحث: من مقدمة، وبابين، وخاتمة، وفهارس

المقدمة: فيها أهمية الموضوع، وسبب اختياره، والدراسات السابقة، وأهداف البحث، وخطة البحث، منهجي في هذا البحث

الباب الأول: في الحديث عن فوائد الريح وفيه فصلان: الفصل الأول: في ما ورد من ذلك باللفظ الصريح: وفيه تسعة مباحث: ١-كون الرياح مصرفة من جميع الجهات، ليعم النفع بها. ٢- أن الرياح ملقحة للسحاب، والأشجار والخضروات. ٣- أن الرياح ذارية فتذري بها المزروعات والحبوب والثمار. ٤- أن الرياح مبشرة بالمطر، وناشرة له. ٥- أن الرياح مثيرة للسحاب. ٦- أن الرياح مسيرة للفلك في البحار. ٧- والرياح جند من جند الله ينصر بها من يشاء من عباده. ٨- وقد سخر الله الريح لنبيه سليمان:- عليه السلام – فجعلها تجري بأمره، وجعل غدوها شهر ورواحها شهر، وجعلها رخاء حيث أصاب. ٩- جعل الريح وسيلة لنقل رائحة قميص يوسف إلى أبيه يعقوب – عليهما السلام – رغم بعد المسافة بينهما.

الفصل الثاني: في الحديث عن ما ورد من الفوائد بغير اللفظ الصريح، وفيه أربعة مباحث: ١- أن الرياح ذارية للمطر، وحاملة له، وجارية به، ومقسمة له. ٢- وكذلك الرياح مرسلة وعاصفة أي شديدة الهبوب، وناشرة للمطر، ومفرقة للسحاب مبددة له. ٣- والريح مزجية للفلك، والسحاب. ٤- ومن فوائدها أنها عاصرة للسحاب.

الباب الثاني: في الحديث عن عواقب الريح المهلكة والمدمرة وفيه فصلان: الفصل الأول: في الحديث عن ما ورد من ذلك باللفظ الصريح: وفيه ست مباحث: ١- من عواقب الريح المهلكة والمدمرة: الريح التي فيها الصر وهو البرد الشديد، والسموم الحار. ٢- ومن عواقبها الضارة: أنها تعصف بالفلك في البحار فتغرقها، وتعصف بالمزروعات فتهلكها. ٣- ومن عواقبها المهلكة: أنها تقصف المشركين فتهلكهم. وكذلك تهوي بهم في مكان سحيق، وكذا تأتيهم بالعذاب الأليم. ٤- ومن أعظم عواقب الريح: ما بعثه الله على قوم عاد، من أنواع الرياح المهلكة، التي هي: العقيم، والصر صر. ٥- ومنها أيضاً: الريح المسببة للضرر بالمزروعات. ٦- ومن أعظم عواقبها أنها تدمر وتهلك من شاء الله من عباده كما هزم بها المشركين في معاركهم ضد المسلمين.

الفصل الثاني: في الحديث عن عواقب الريح التي وردت بغير اللفظ الصريح وفيه مبحثان: ١- الإعصار المدمر للمزارع والبساتين. ٢- الحاصب الذي أهلك به قوم لوط، وهو الريح التي تحصب بالحجارة والحصباء.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث، ثم الفهارس.

almodather sura "s meditations

Dr. / Ali bin Omar bin Mohammed Al-Suhaibani Associate Professor, Department of the Quran and its Sciences, Qassim University

Abstract:

This research contain 12 topics and conclusion. They are as following :

First topic: the reason of Sura[M]s : revelation , its time , ans its place : there are several reasons for this Sura revelation , while its time has turned out to be one of the first sura revealed after the revelation of Iqra[M]s sura.

Second topic : In Sura purposes: It was exposed to ten variety of purposes has been statement.

Third topic : Readings contained in this Surah, has been detailing those readings.

Fourth topic: the Honoring of Prophet Mohammad peace be upon him , be gentle with him and given the orders for him m from the verse 1- to 7.

fifth topic : A stern warning to the leader of the infidels Alwaleed bin alMogirah , from verse 8-26.

sixth topic : Description of the menacing fire for the infidels: from verse 27-

seventh topic : That the number of hell safers a tempitation for those who disbelieve and to increase in the faith of believers: verse 31.

eighth topic : with the three oaths: from verse 32-37. **ninth topic** : With self-bonded that earned it: from verse 38-39. **tenth topic** : in the query of heavens "s people about the reason of the enter of the criminal in the fire: from verse 40-47.

eleven topic : the infidels not to Benefits from the intercession in the Day of Resurrection, and their intransigence in the request papers: from verse 48-56. **twelve topic** : What the devise from the sura.

Conclusion: The most important results of the research.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً ولا مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته ومن دعا بدعوته وعمل بسنته ونصح لأمته، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فإن الريح جند من جنود الله سبحانه وتعالى يصرفها كيف يشاء، فمنها الرياح النافعة التي تزجي الفلك في البحار، ومنها التي تلقح السحاب والنبات، ومنها التي تدمر المساكن والديار، وقد ورد في القرآن الكريم طائفة كبيرة من الآيات التي تتحدث عن هذه العواقب وتلك الفوائد، فأحببت أن أقف على تلك الآيات، مجملاً لما ورد فيها من فوائد جمة، وعواقب مؤلمة، في بحث مستقل، يكون في متناول أيدي القراء ليستفاد من تلك الفوائد، ويري ما لتلك العواقب، من آثار مدمرة، وعقوبات مؤلمة، لأجل أن يكون في ذلك ذكري للمتدبر والمتبصر، وعبرة للمعتبر والمتذكر، وقد ورد لفظ الريح في القرآن أربع عشرة مرة، ولفظ الرياح عشر مرات، ولفظ ريحا أربع مرات، ولفظ ريحكم مرة واحدة، كما وردت ألفظ أخرى مثل: الذاريات، والحاملات، والجاريات، والمقسمات، والمرسلات، والعاصفات، والناشرات، والفارقات، والمعصرات، وعددها تسع في موضعين بلفظ يزجي، وفي موضع بلفظ الإعصار، وفي أربع مواضع بلفظ حاصب. فمجموع هذه المواضع خمسة وأربعون موضعاً، وهذا ما شجعني على إفراد تلك المواضع ببحث مستقل.

أهمية الموضوع وسبب اختياره:

يرجع اختياري لهذا الموضوع لعدة أسباب من أهمها:

١- كثرة الآيات التي تتحدث عن الرياح في القرآن الكريم.

٢- عدم توفر بحوث خاصة في هذا الموضوع فيما أعلم.

٣- أهمية الرياح في حياة الناس، وعظم المنافع والمضار المترتبة عليها.

٤- الرغبة في الإطلاع على ما كتب عن الريح، قديماً وحديثاً.

الدراسات السابقة:

لم أجد بعد البحث في المكتبات، ومركز الملك فيصل، والشبكة العنكبوتية، من أستوفى دراسة الآيات التي تتحدث عن الرياح في القرآن، والذي تمكنت من الإطلاع عليه في ذلك هو:

١- كتاب عن آيات الله في الرياح والمطر والأعاصير والبراكين، والزلازل، ضمن الموسوعة الكونية الكبرى لـ د: ماهر أحمد الصوفي الباحث في وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقات، بدولة الإمارات العربية المتحدة، وقد تكلم عن بعض الآيات فقط، وخاصة التي فيها الرياح المسببة للسحاب والمطر، وبين وجه الإعجاز في ذلك، وكان الجزء الذي يخص الرياح ما يقارب الثلاثين صفحة مدعومة بالصور الموضحة.

٢- بحث عن أنواع الرياح في القرآن الكريم في ١٢ صفحة، لـ د: أحمد عبد الله مكي، من جامعة الملك عبد العزيز، منشور على الشبكة العنكبوتية، وهو بحث مختصر تحدث فيه المؤلف عن بعض الآيات فقط.

٣- بحث بعنوان: الرياح بين القرآن والعلم، منشور على الشبكة لـ د: مروان شعبان في ١٣ صفحة، تحدث فيه عن أوجه الإعجاز في الرياح والسحاب.

٤- بحث بعنوان: إعجاز القرآن الكريم في وصف أنواع الرياح والسحاب والمطر، من بحوث المؤتمر العالمي الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، لـ مجموعة من الباحثين، ويقع في ٣٢ صفحة، وهو يتحدث عن أثر الرياح في السحاب، ووجه الإعجاز في ذلك، وأنواع السحب، من ركامي وطبقي، ولم يستوعب جميع آيات الرياح، وهو منشور على الشبكة العنكبوتية، إعداد: عادل الصعدي، ومراجعة: علي عمر بلعجم.

وكل هذه الأبحاث مادتها واحدة، وهي تتحدث عن الرياح المثيرة للسحب، ووجوه الإعجاز في ذلك، ولم تتعرض لبقية الآيات عن الرياح.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من: مقدمة، وتمهيد، وبابين، وخاتمة، ثم الفهارس

المقدمة: فيها أهمية الموضوع، وسبب اختياره، والدراسات السابقة، والمنهج الذي سلكته في البحث.

تمهيد: في تعريف الريح وبيان أصنافها، والفرق بين الريح والرياح.

الباب الأول: في الحديث عن فوائد الريح: وفيه فصلان:

الفصل الأول: ما ورد من الفوائد باللفظ الصريح، وفيه تسعة مباحث.

المبحث الأول: الرياح المصرفة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أن فى تصريف الرياح آيات لقوم يعقلون.

والمطلب الثاني: في تنبيه العقلاء إلى آيات الله في تصريف الرياح.

المبحث الثاني: في الحديث عن الرياح الملقحة.

المبحث الثالث: في الحديث عن الرياح الذارية.

المبحث الرابع: في الحديث عن الرياح المبشرة والناشرة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: في الرياح المبشرة.

والمطلب الثاني: في الرياح الناشرة.

المبحث الخامس: في الحديث عن الرياح المثيرة للسحاب.

المبحث السادس: في الحديث عن الرياح المجرية للفلك.

المبحث السابع: في الحديث عن ريح النصر.

المبحث الثامن: في الحديث عن الرياح المسخرة لنبي الله سليمان – عليه السلام – وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحديث عن الريح الجارية بأمره.

والمطلب الثاني: في الريح السريعة السير، والمطلب الثالث: في الريح الرخاء.

المبحث التاسع: في الحديث عن الريح الجالبة لرائحة قميص يوسف – عليه السلام –.

الفصل الثاني: في الحديث عن ما ورد من فوائد الريح بغير اللفظ الصريح، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: في الحديث عن الريح الذارية.

المبحث الثاني: في الحديث عن الريح المرسلة.

المبحث الثالث: في الحديث عن الريح المزجية، وفيه مطلبان: المطلب الأول: في الريح المزجية للفلك،

والمطلب الثاني: في الريح المزجية للسحاب.

المبحث الرابع: في الحديث عن الريح العاصرة.

ملخص في فوائد الريح الواردة في هذا الباب.

الباب الثاني: في الحديث عن عواقب الريح المهلكة والمدمرة: وفيه فصلان:

الفصل الأول: في الحديث عن ما ورد من ذلك باللفظ الصريح، وفيه ستة مباحث.

المبحث الأول: في الحديث عن الريح الصر.

المبحث الثاني: في الحديث عن الريح العاصف، وفيه مطلبان، المطلب الأول: في الريح العاصف بالفلك

والمطلب الثاني: في الريح العاصف بالرماد.

المبحث الثالث: في الحديث عن أنواع الريح المهلكة للمشركين، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: في الحديث عن الريح القاصف.

المطلب الثاني: في الحديث عن الريح الهاوية بالمشركين، المطلب الثالث: في الحديث عن ريح العذاب.

المبحث الرابع: في الحديث عن الريح المرسلة على قوم عاد، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: في الحديث عن الريح العقيم.

والمطلب الثاني: في الحديث عن الريح الصرصر.

المبحث الخامس: في الحديث عن الريح المسببة للضرر.

المبحث السادس: في الحديث عن الريح الهازمة للمشركين.

الفصل الثاني: في عواقب الريح الواردة بألفاظ أخرى غير الصريح، وفيه مبحثان.

المبحث الأول: في الحديث عن ريح الإعصار.

المبحث الثاني: في الحديث عن الريح الحاصب.

ملخص لأنواع الرياح الضارة والمهلكة الواردة في هذا الباب.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث. ثبت المصادر والمراجع.

أهداف البحث:

١- خدمة كتاب الله عز وجل من خلال جمع الآيات التي تتحدث عن الرياح في القرآن، مع الوقوف على معانيها وتفسيرها.

٢- معرفة الفوائد الحاصلة من الرياح، وكذلك العواقب السيئة الناتجة عنها.

٣- إبراز منهج القرآن في الاستلال على المنافع والمضار.

٤- إثراء المكتبة العلمية بمثل هذه البحوث الموضوعية.

منهجي في البحث:

سلكت في هذا البحث الموضوعي لآيات الرياح، المنهج الاستقرائي التحليلي، بحيث أقوم بجمع آيات الرياح من خلال القرآن الكريم، مسترشداً بكلام أهل العلم في ذلك قديماً وحديثاً، متناولاً ذلك بالبحث والتحليل والاستدلال.

وسأسير في البحث على الخطوات التالية:

١- حصر الآيات التي تتحدث عن الرياح، ثم تصنيفها على حسب الموضوعات، على ما هو مبين في خطة البحث.

٢- أثبت الآيات بالرسم العثماني، مع ذكر رقم الآية واسم السورة، بعد الآية مباشرة.

٣- خرجت الأحاديث الواردة في البحث فإن كان الحديث في أحد الصحيحين اكتفيت بتخريجه منه، وإن كان في غيرهما اجتهدت في ذكر حكم العلماء عليه.

٤- نسبت الأقوال إلى قائليها، مع محاولة بيان الراجح عند تعدد الأقوال.

٥- ذكرت الفوائد المستنبطة من الآيات في نهاية كل مبحث أو مطلب.

٦- وضعت ملخص لفوائد الريح الواردة بالبحث في نهاية الباب الأول، وآخر لأنواع الريح المهلكة والمسببة للأضرار في نهاية الباب الثاني.

٧- لم أترجم للأعلام طلباً للاختصار.

٨- ذكرت في الخاتمة أهم نتائج البحث.

٩- وضعت قائمة للمصادر والمراجع.

١٠- وضعت فهرس لموضوعات البحث.

والله أسأل أن ينفع بهذا الجهد كاتبه وقارئه وعامة المسلمين، وصلى الله علي نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمهيد في تعريف الريح:

الريح لغة: قال الليث: الريح ياؤها واو صيرت ياء لانكساء ما قبلها، وتصغيرها رويحة، وجمعها رياح وأرواح. وقال ابن فارس: الراء والواو والحاء أصل كبير مطرد، يدل على سعة فسحة واطراد. وأصل ذلك كله الريح، وأصل الياء في الريح الواو، وإنما قلبت ياء لكسرة ما قبلها، فالروح روح الإنسان، وإنما هو مشتق من الريح. والروح: نسيم الريح(١).

أما الريح في اصطلاح العلماء: فهي تحرك الهواء، وقد يشتد ويضعف(٢).

أما أصل تكوين الرياح: فقد توصل العلماء والراصدون إلى أن تكوين الرياح وتوجيهها يتمان بعملية كونية إلهية لا يستطيع الإنسان أن يتحكم في عواملها. والسبب في هبوب الرياح هو فروق الضغط الجوي التي تدفع الهواء في الغلاف الجوي إلى الحركة من مناطق الضغط الجوي متجهاً نحو مناطق الضغط المنخفض، ويعمل دوران الأرض حول محورها على دوران الغلاف الجوي معها بنفس الطريقة، ومن ثم

تلف الرياح أيضاً وتدور أثناء حركتها، حيث تحيد إلى جهة اليمين في نصف الكرة الشمالي وتحيد إلى اليسار في النصف الجنوبي.

وقد اتفق العلماء على وضع مقياس لتصنيف الرياح حسب متوسط سرعتها وطبقاً لما تحدثه من آثار، وجعلوا لها عدة أنواع لفائدة الطيران والملاحة البحرية وغير ذلك فمنها:

١- الرياح الساكنة التي يقل متوسط سرعتها عن ميل واحد في الساعة ولا تؤثر على الدخان المتصاعد رأساً على أعلى.

٢- النسيم الخفيف والرياح اللطيفة والمعتدلة التي لا تزيد سرعتها عن حوالي عشرين ميلاً في الساعة.

٣- الريح الشديدة والعواصف والأعاصير التي تثير الرمال والحصى وتقصف أو تكسر ما يعترضها عندما تزيد سرعتها عن حوالي ٤٠ ميلاً في الساعة وتصل إلى أكثر من ٧٠ ميلاً في الساعة.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الأنواع في آيات كثيرة.

الفرق بين الريح والرياح: الريح هواء متحرك، والهواء وإن كنا لا نراه فإنه يضغط علينا على الدوام، وأحياناً يزداد هذا الضغط في يوم عنه في يوم آخر، ونحن لا نحس بهذا الضغط ولا بفارقه، ومقدار هذا الضغط هو الضغط الجوي وهو قد يكون عالياً أو خفيضاً. وهو غالباً يكون خفيضاً في يوم بادر ماطر. لكن ضغط الهواء لا يكون متساوياً على كل أجزاء الأرض، فهو عال في منطقة وخفيض في أخرى وهذا هو سبب حدوث الرياح. فالهواء كأي مائع آخر يندفع من مناطق الضغط المرتفع إلى مناطق الضغط المنخفض والريح هي هذا الهواء المتحرك. فإذا كان ضغط الهواء عالياً في منطقة وأخفض بكثير في منطقة أخرى غير بعيدة يندفع الهواء بقوة وعنف. أما إذا كان فرق الضغط قليلاً بين المنطقتين فإن الريح تكون لطيفة رخاء. ولما كان ضغط الهواء دائم التغير فإن شدة الريح أيضاً تتغير كذلك[٣].

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن عامة المواضع التي ذكر الله تعالى فيها إرسال الريح بلفظ الواحد فعبارة عن العذاب، وكل موضع ذكر فيه بلفظ الجمع فعبارة عن الرحمة، وممن قال بذلك الراغب الأصفهاني، وابن عطية، والفيروز أبادي[٤]. وقد ورد في ذلك حديث لكن في سنده ضعف، وهو ما أخرجه أبو يعلي عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ثارت ريح استقبلها وجثا على ركبتيه وقال: (اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً، اللهم أجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً) [٥].

والصحيح أن ذلك باعتبار الأغلب في القرآن، لأن لفظ الريح قد جاءت مفردة في الرحمة في عدة آيات كما في آية يونس: قال تعالى: (وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ) (يونس: ٢٢)

وقوله تعالى: (فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ) (ص: ٣٦) وغيرها من الآيات.

الباب الأول

في الحديث عن فوائد الريح

الفصل الأول

ما ورد من الفوائد باللفظ الصريح

وفيه تسعة مباحث:

وردت عدة آيات في كتاب الله العزيز، تدل على فوائد عظيمة للريح، وسنتحدث عن تلك الفوائد في المباحث التالية:

المبحث الأول

في الحديث عن الرياح المصرفة

وفيه مطلبان:

من أعظم فوائد الرياح: أن جعلها الله مصرفة، وقد وردت آيتان في كتاب الله، يمتن الله بهما على عباده بتصريف الرياح.

وتصريف الرياح: (صرفها من جهة إلى جهة. وكذلك تصريف السيول والخيول والأمور والآيات) [٦].

يبين الله سبحانه وتعالى أن من كمال قدرته ووحدانيته، تسخيره لما في الكون من مخلوقات، ومن ذلك: تصريف الرياح، ففي تصريف الرياح تكتمل مصالح العباد، فلنا أن نتصور لو أن الرياح استمرت على درجة واحدة في سرعة الهبوب، ومن جهة واحدة فقط، فكم من المصالح التي تتعطل بسبب ذلك، وكم من المضار التي تنتج عن ذلك، فقد يحتاج أهل مكان إلى اختلاف مها بها لتجئ ريح باردة بعد ريح حارة، أو ريح رطبة بعد ريح يابسة، أو لتهب من جهة الساحل فيرجع أهل السفن من الأسفار، أو من

الصيد، فكل هذا موضع نعمة، وهو أيضاً موضع عبرة، فالحمد لله على ما يسر لعباده من تصريف الرياح وتنوعها.

وقال الرازي: (وجه الاستدلال بها أنها مخلوقة على وجه يقبل التصريف، وهو الرقة واللطافة، ثم إنه سبحانه يصرفها على وجه يقع به النفع العظيم في الإنسان والحيوان والنبات) [٧].

وقد اختير لفظ التصريف هنا دون نحو لفظ التبديل أو الاختلاف، لأنه اللفظ الذي يصلح معناه لحكاية ما نفس الأمر من حال الرياح، لأن التصريف تفعيل من الصرف للمبالغة، وقد علمت أن منشأ الريح و صرف بعض الهواء إلى مكان وصرف غيره إلى مكانه الذي كان في فيجوز أن تقدر: وتصريف الله تعالى الرياح، وجعل التصريف للريح مع أن الريح تكونت بذلك التصريف، لأنها تحصل مع التصريف فهو من إطلاق الاسم على الحاصل في وقت الإطلاق كما في قوله تعالى: (وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ) (البقرة: ١٥٩) وهو ضرب من مجار الأول، وأن تجعل التصريف بمعني التغيير أي تبديل ريح من جهة إلى جهة فتبقي الحقيقة ويفوت الإعجاز العلمي ويكون اختيار لفظ التصريف دون التغيير لأنه أخف[٨].

قال العلماء: إذا بدت حركة الهواء من تجاه القبلة ذا هبة إلى سمت القبلة قيل لتلك الريح: (الصبا)، وإذا بدت حركة الهواء من وراء القبلة و كانت ذاهبة إلى تجاه القبلة قيل لتلك الريح: (الدبور)، وإذا بدت حركة الهواء عن يمين القبلة ذاهبة إلى يسارها قيل لها: (ريح الجنوب)، وإذا بدت حركة الهواء عن يسار القبلة ذاهبة إلى يمينها قيل لها: (ريح الشمال)، ولكل واحدة من هذه الرياح طبع، فتكون منفعتها بحسب طبعها؛ فالصبا حارة يابسة، والدبور باردة رطبة، والجنوب حارة رطبة، والشمال باردة يابسة، واختلاف طبعها كاختلاف طبائع فصول السنة[٩].

المطلب الأول: أن في تصريف الرياح آيات لقوم يعقلون

قال تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (البقرة: ١٦٤).

موقع هذه الآية من التي قبلها موقع الحجة من الدعوي، وذلك أن الله تعالى أعلن في الآية السابقة قال تعالى: (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) (البقرة: ١٦٣).

وهي قضية من شأنها أن تتلقي بالإنكار من كثير من الناس، فناسب إقامة الحجة لمن لا يقتنع فجاء بهذه الدلائل الواضحة التي لا يسع الناظر إلا التسليم لها.

أخرج الطبري عن عطاء قال: (نزل النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) فقال كفار قريش بمكة: كيف يسع الناس إله واحد؟ فأنزل الله تعالى ذكره (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) فبهذا يعلمون أنه إله واحد، إله كل شيء، وخالق كل شيء) [١٠].

وقد سخر الله للفلك الرياح الدورية، وهي رياح تهب في الصباح إلى جهة، وفي المساء إلى جهة في السواحل تنشأ عن إحماء أشعة الشمس في رابعة النهار الهواء الذي في البر حتى يخف الهواء فيأتي هواء من جهة البحر ليخلف ذلك الهواء البري الذي تصاعد فتحدث ريح رخاء من جهة البحر ويقع عكس ذلك بعد الغروب فتأتي ريح من جهة البر إلى البحر، وهذه الريح ينتفتح بها الصيادون والتجار وهي تكون أكثر انتظاماً في مواقع منها في مواقع أخرى.

وأما كونها نعمة فلأن في هذا التسخير نفعاً للتجارة والزيارة والغزو وغير ذلك، ولذلك قال: بما ينفع الناس لقصد التعميم مع الاختصار[١١].

وفي هذه الآية يمتن الله على عبادة بتصريف الرياح، ومعني تصريفها: جعلها باردة وحارة، جنوباً وشمالاً، وشرقاً ودبوراً، وبين ذلك[١٢]، وتارة تثير السحاب، وتارة تؤلف بينه، كما في قوله سبحانه: (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا) (فاطر: ٩)، وتارة تلقحه، كما في قوله سبحانه: (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ) (الحجر: ٢٢)، وتارة تدره، وتارة تمزقه[١٣]، وتزيل ضرره، وتارة تكون رحمة، كما في قوله سبحانه: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ) (الروم: ٤٦)، وتارة ترسل بالعذاب، كما في قوله سبحانه: (وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ) (الذاريات: ٤١)، فمن الذي صرفها هذا التصريف، وأوده فيها من منافع العباد ما لا يستغنون عنه؟ وسخرها ليعيش فيها جميع الحيوانات، وتصلح لعيشة الأبدان والأشجار، إلا العزيز الحكيم الرحيم، اللطيف بعباده، المستحق لكل ذل وخضوع ومحبة وإنابة وعبادة[١٤].

وأما قوله: (لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) فإنما خص الآيات بهم، لأنهم هم الذين يتمكنون من النظر فيها، والاستدلال بها على ما يلزمهم من توحيد ربهم، ومعرفة عدله وحكمه ليقوموا بشكره، وما يلزمهم من عبادته وطاعته.
وقد قسم الله النعم إلى قسمين: نعم دنيوية ونعم دينية، وهذه الأمور الثمانية التي عدها الله تعالى في هذه الآية نعم دنيوية في الظاهر، فإذا تفكر العاقل فيها واستدل بها على معرفة الصانع صارت نعماً دينية، لكن الانتفاع بها من حيث إنها نعم دنيوية لا يكمل إلا عند سلامة الحواس وصحة المزاج، وكذا الانتفاع بها من حيث إنها نعم دينية لا يكمل إلا عند سلامة العقول وانفتاح بصر الباطن لذلك[١٥].

ما يستنبط من الآية:

١- يذكر الله عباده في هذه الآية، بالآيات والعبر والتي أوجدها لهم سواء في السماوات، أو في الأرض أو ما بينهما، ففي ارتفاع السماء بلا عمد وتزيينها بالكواكب أكبر آية وعبرة على قدرة الله سبحانه، وأعظم حجة على المنكرين لإلوهيته.

٢- وفي جعل السماوات سبعاً طبقاً ومقراً لملائكته وبعض أنبيائه آية وعبرة.

٣- وجعل سبحانه الأرضين سبعاً ومهد الأرض التي نعيش عليها وجعلها فراشاً، ليتمكن الخلق من العيش عليها وزراعتها والاستفادة من كنوزها.

٤- وفي اختلاف الليل والنهار بالطول والقصر والضياء والظلمة وتعاقبهما المستمر ما يريح العباد في نومهم ومبيتهم وفي طلبهم للعيش وسعيهم في الأرض أعظم آية وعبرة حيث سهل لهم أسباب الراحة في المبيت وفي اليقظة.

٥- ومن آياته الباهرة تسخير الفلك في البحر للتجارة والأسفار والاصطياد واستخراج كنوز البحر.

٦- وفي إنزال الماء من السماء على الأرض ليعم جميع أجزائها من جبال وتلال ووديان، وإحياء الأرض بالنبات بعد أن كانت غبراء مجدبة، ونشر فيها من كل دابة آية ودلالة على قدرة الله على بعث العباد بعد موتهم.

٧- وفي تصريف الرياح من جميع الجهات، وجعلها رخاء حيناً وعاصفة حيناً آخر، وملقحة للسحاب والزروع والثمار، وجعلها نعمة ونصراً أو نقمة وعذاباً إن في هذا لأعظم الآيات والعبر لمن اعتبر.

٨- وفي تسخير السحاب بين السماء والأرض أكبر الآيات والعبر على قدرة الباري سبحانه على إزجاء السحاب وسوقه إلى حيث يشاء، ونزوله بيسر وسهولة، فلا يهدم بنياناً ولا يتلف زروعاً ولا يهلك حيواناً، لطفاً منه ورحمة سبحانه وتعالى.

٩- وإنما خص بتلك الآيات الذين يعقلون، لأنهم هم الذين يستفيدون من تلك الآيات بإعمال عقولهم، وأخذهم للآيات والعبر مما يشاهدون من قدرة الله سبحانه.

المطلب الثاني: وفيه تنبيه العقلاء إلى آيات الله في تصريف الرياح

قال تعالى: (وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آَيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٤) وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آَيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) (الجاثية: ٤، ٥).

يرشد الله عباده إلى النظر في آياته، حيث بدأ بالحديث عن السماوات والأرض، ثم أتبع ذلك بقوله: (وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آَيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) (الجاثية: ٤) وأتبع ذلك بقوله أيضاً: (وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ)، وتعاقبهما عليهم، هذا بظلمته وسواده وهذا بنوره وضيائه، وما أنزل الله من رزق وهو الغيث الذي به تخرج الأرض أرزاق العباد وأقواتهم، وإحياؤه الأرض بعد موتها، وإنبات ما أنزل من السماء من الغيث ميت الأرض، حتى اهتزت بالنبات والزرع من بعد موتها، يعني: من بعد جدبها وقحطها، وخلوها من النبات والزرع، وفي تصريف الرياح لهم مرة شمالاً، وأخرى جنوباً، وصبا أحياناً، ودبوراً أخرى، لمنافعهم، وقيل: عني بتصريفها: مرة بالرحمة ومرة بالعذاب، يقول سبحانه: في ذلك أدلة وحجج لله على خلقه، لقوم يعقلون عن الله حججه، ويفهمون عنه ما وعظهم به من الآيات والعبر[١٦].

وقد جعل سبحانه اختلاف الليل والنهار واختلاف حوادث الجو التي تتجدد كل وقت، آية للذين اتصفوا بالعقول، والمنصفين من العباد؛ لأن دلالتها على الوحدانية بواسطة لوازم مترتبة بإدراك العقل[١٧].

ما يستنبط من الآية:

١- يرشد الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين إلى النظر في الآيات التي خلقها، وجعلها آية وعبرة ودلالة على وحدانيته، وتصرفه في هذا الكون.

٢- وفي هذه الآية يلفت أنظارهم إلى الآية العظيمة في اختلاف الليل والنهار، سواء بالطول والقصر، أو الضياء والظلمة، أو التعاقب بينهما على وجه الاستمرار، فلا يسبق أحدهما الآخر.

٣- كما أن من أعظم الآيات والعبر أيضاً تصريف الرياح، فلا تستمر على هبوبها من جهة واحدة، ولا تكون سرعتها على وتيرة واحدة، ففي هذا أعظم النعم على العباد، وأكبر الدلائل على عظمة الخالق سبحانه وتعالى.

٤- وإنما خص بتلك الآيات الذين يعقلون، لأنهم هم الذين يستفيدون من تلك الآيات بإعمال عقولهم، وأخذهم للآيات والعبر مما يشاهدون من قدرة الله سبحانه.

المبحث الثاني

في الحديث عن الرياح الملقحة

من جملة فوائد الرياح: تلقيحها للسحاب والأشجار والثمار.

يرشد الله سبحانه وتعالى عباده إلى ما سخره لهم من الريح التي تلقح السحاب التي تجود عليهم بالطر الذي يستقون منه، وتقوم به حياتهم وزروعهم، كما تلقح الرياح السحاب، فهي تلقح الزروع والأشجار لكي تصلح الثمار.

قال تعالى: (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ) (الحجر: ٢٢).

لقد توصل العلم الحديث إلى حقيقة تلقيح الرياح للسحاب، بعد أن درس العلماء تصريف الرياح وإثارة السحب بآلات رصد مختلفة، وقاموا بتصوير عملية الإثارة وتجميع وحدات السحب على اتساع الأفق بمعدل صورة كل ثانية. ومن سنن الله سبحانه وتعالى أن الهواء عندما يبرد تقل قدرته على حمل بخار الماء، ومن المعروف علمياً أن الهواء عندما يبرد يصعد في الجو وتنخفض درجة حرارته تلقائياً بمعدل عشر درجات مئوية لكل ألف متر، ويحدث العكس عند الهبوط، أي أنه يسخن بنفس المعدل، والهواء العادي يحتوي على مقادير متباينة من بخار الماء يعبر عنها أهل الاختصاص باسم (الرطوبة) وعندما تقل قدرة الهواء على حمل بخار الماء يتكاثف الأخير تدريجياً في عدة صور منها: السحب، المطر، البرد، الثلج، الندى، الضباب، وعندما تثير الرياح السحب وتكونها تظهر أولاً خلايا (وحدات) صغيرة من السحاب، لا تلبث أن تتحد كل خليتين أو (وحدتين) منها أو أكثر حتى تكون في النهاية السحابة القابلة للنمو الرأسي السريع. وطريقة تكوين السحب على هذا النحو كما تم تصويرها بالرادار تتفق مع التعبير القرآني في قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ) (النور: ٤٣).

وهناك فرق بين ما يحدث للسحابة التي تجود بالمطر وتلك التي لا تجود بالمطر، ذلك أن تكون السحاب لا ينفع الناس شيئاً إذا لم يكن في الإمكان أن ينزل ماؤه عليهم مطراً؛ وماء السحاب لا يمكن أن ينزل على الناس مطراً إلا إذا نمت قطيراته وأصبحت أثقل من أن يحملها أو يعوق نزولها الهواء، إن القطيرات السحابية خاضعة للجاذبية، فهي تبدأ في السقوط إلى الأرض بمجرد تكونها، لكن الهواء ولو كان ساكناً يقاوم مرورها فيه، والناس لو تركوا إلى الجاذبية وحدها ما سقوا من السحاب قطرة ماء، إذ أن الجازبية تنفع إذا نمت قطيرات السحاب. وهذا التحول الحيوي قد يسر الله سبحانه وتعالى أسبابه في الرياح،

وأشياء أخرى لم يحط العلم بتفاصيلها الآن. وأشار القرآن الكريم إلى ما أثبته العلم الحديث من أن السحب لكي تمطر يجب أن تستمر الرياح وتدأب على تلقيحها (أو إمدادها) بجسيمات عناصر المطر المتمثلة من أسطح البحار وتصعد بها إلى مناطق إثارة السحب لكي تتجمع من جديد على جسيمات صغيرة أخرى تذروها الرياح وتعرف باسم (نوى التكاثف) ومن أنواع نوى التكاثف مساحيق ملح الطعام وبعض الأتربة والأملاح والأحماض التي تمتص الماء وتذوب فيه.

قال تعالى: (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ) (الحجر: ٢٢).

وترجيح هذا المعني العلمي الذي لا يقصر دور الرياح على تلقيح بعض النباتات لتجود بالثمر، يساعد على فهم معني الربط بين أجزاء الآية الكريمة، حيث تكون الفاء في قوله تعالى: (فَأَنْزَلْنَا) هي فاء السببية، أي نجم عن هذا التلقيح إخصاب السحاب، ومن ثم نزول الماء العذب وهو المطر[١٨].

وأخرج الطبري عن ابن عباس والحسن: تلقح الشجر وتحري السحاب، وأخرج عن ابن مسعود قال: يرسل الله الرياح فتحمل الماء، فتجري السحاب، فتدر كما تدر اللقحة ثم تمطر[١٩].

وأصل هذا من قولهم: لقحت الناقة، وألقحها الفحل إذا ألقي إليها الماء فحملته[٢٠].

قال أبو عبيدة: (مجازها مجاز ملاقح؛ لأن الريح ملقحة للسحاب) [٢١].

قال عبيد بن عمير: يبعث الله الريح المبشرة فتقم الأرض قماً، ثم يبعث الله المثيرة فتثير السحاب، ثم يبعث الله المؤلفة للسحاب بعضة إلى بعض فتجعله ركاماً ثم يبعث اللواقح فتلقح الشجر[٢٢].

وقال أبو بكر بن عياش: لا تقطر قطرة من السحاب إلا بعد أن تعمل الرياح الأربع فيه، فالصبا تهيجه[٢٣]، والشمال تجمعه[٢٤]، والجنوب تدره[٢٥]، والدبور تفرقه[٢٦][٢٧].

وقد ذكر ابن القيم جملة من فوائد هذه الريح حيث يقول:

(إن في هذه الرياح من المصالح: حياة الأبدان، والممسك لها من الداخل بما تستنشق منه، ومن خارج بما تباشر به من روحه فتتغذي به ظاهراً وباطناً، وفيها طرد للأصوات فيحملها ويؤديها للقريب والبعيد كالبريد والرسول الذي شأنه حمل الأخبار والرسائل، وفيها حمل لهذه الروائح على اختلافها ونقلها من موضع إلى موضع، فتأتي العبد الرائحة من حيث تهب الريح، وكذلك تأتيه الأصوات، وفيها حمل للحر والبرد اللذين بهما صلاح الحيوان والنبات.

وتأمل منفعة الريح وما يجري لها في البر والبحر، وما هيئت له من الرحمة والعذاب، وكم سخر للسحاب من الريح حتى أمطر، فسخرت له المثيرة أولاً فتثيره بين السماء والأرض، ثم سخرت له الحاملة التي تحمله على متنها كالجمل الذي يحمل الراوية، ثم سخرت له المؤلفه فتؤلف بين كسفه وقطعه، ثم يجمع بعضها إلى بعض، فيصير طبقاً واحداً، ثم سخرت له اللاحقة بمنزلة الذكر الذي يلقح الأنثى فتلقحه بالماء؛ ولولاها لكان جهاماً لا ماء فيه، ثم سخرت له المزجية التي تزجيه وتسوقه إلى حيث أمر فيفرغ ماءه هنالك،

ثم سخرت له بعد إعصاره، المفرقة التي تبثه وتفرقه في الجو فلا ينزل مجتمعاً، ولو نزل جملة لأهلك المساكن والحيوان والنبات بل تفرقه فتجعله قطراً، وكذلك الرياح تلقح الشجر والنبات، ولولاها لكانت عقيماً، وتسير السفن، ولولاها لوقفت على ظهر البحر، وتبرد الماء، وتضرم النار التي يراد إضرامها، وتجفف الأشياء التي تحتاج إلى تجفيف.

إذن: فحياة ما على وجه الأرض من نبات وحيوان بالرياح، فلولا تسخير الله لها لعباده لذوي النبات، ومات الحيوان، وفسدت المطاعم وأنتن العالم وفسد الجو، فانظر إذا ركدت الرياح كيف يحدث الكرب والغم، الذي لو دام لأتلف النفوس، وأسقم الحيوان وأمرض الأصحاء، وأنهك المرضي، وأفسد الثمار، وتعفن الزرع وحدث الوباء في الجو.

فسبحان من جعل هبوب الرياح نعمة تأتي بروحه ورحمته ولطفه.

وفي هذه الرياح لطيفة قد تخفي على كثير من الناس وهي: ما يحدث من الأصوات عند اصطكاك الإجرام، فالرياح تنقلها إلى مسامع الناس، فينتفعون بها في حوائجهم ومعاملاتهم بالليل والنهار، فلو كان أثر الحركات والأصوات يبقي في الجو كما يبقي الكتاب في القرطاس، لامتلأ العالم منه ولعظم الضرر به، واشتدت مئونته واحتاج الناس إلى محوه من الجو، والاستبدال به أعظم من حاجتهم إلى استبدال الكتاب المملوء كتابة، فإن ما يلقي من الكلام في الجو أضعاف ما يودع في القرطاس، فاقتضت حكمة العزيز الحكيم أن جعل هذه الرياح قرطاساً خفياً يحمل الكلام بقدر ما يبلغ الحاجة ثم يمحي بإذن ربه فيعود جديداً نقياً لا شيء فيه) (٢٨).

وما يستنبط من الآية:

١- يمتن الله على عباده في هذه الآية بإرسال الرياح لواقح، فهي تلقح السحاب، والزروع والثمار، وفي ذلك أعظم نعمة على العباد، فلو لم تلقح السحب لما جادت بالمطر، ولو لم تلقح الزروع والأشجار لما جادت بالحبوب والثمار.

٢- كما أن من تمام الله على عبادة أن جعل هذا الماء صالحاً للشرب فيستقون منه، ولو شاء لجعله أجاجاً غير صالح للشرب.

٣- يذكر الله عبادة في هذه الآية عدم قدرتهم على خزن الماء المنزل عليهم، ليرتبطوا بخالقهم ويعتمدوا عليه ولا يتكلموا على قوتهم وجهدهم.

المبحث الثالث

في الحديث عن الرياح الذارية

قال الليث: يقال: ذرت الريح التراب تذروه ذرواً، إذا حملته فأثارته. ويقال: ذريت الطعام، وذروته تذرية وذرواً. قال: والذري: اسم لما تذروه، مثل النقض، اسم لما تنقضه[٢٩].

قال تعالى: (وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا) (الكهف: ٤٥).

ومن فوائد الرياح العظيمة: ما يقوم به المزارعون من ذري حبوبهم، وتخفيف زروعهم، فلولا تلك الرياح المهيأة لذلك، لتعطلت كثير من المصالح، وزادت المشقة على الخلق، ببذل مجهود أكبر، للتخلص من تلك المخلفات التي تبقي للمزروعات.

ينبه الله سبحانه وتعالى عباده إلى ذهاب الدنيا واضمحلالها، ويضرب لهم مثلاً بذلك وهو: ذهاب الهشيم في ذري الرياح له.

يقول تعالى مخاطباً لنبيه: اضرب لقومك مثل الحياة الدنيا، بماء المطر النازل من السماء، فشرب النبات من ذلك الماء فبدأبه الري والنضارة، فعلى هذا الوجه يكون قد اختلط النبات بالماء بحيث يرتوي به، فأصبح ذلك النبات هشيماً[٣٠].

وأصل الهشيم: ما تكسر وتهشم وتحطم من يبس النبات[٣١].

وقال المفسرون الهشيم: الكسير المتفتت[٣٢].

ومعني (تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ) أي: تطيره وتفرقه، قاله أبو عبيدة[٣٣].

وقال ابن قتيبة: تنسفه[٣٤].

وقال ابن كيسان: تذهب به وتجئ، وقال ابن عباس: تديره؛ والمعني متقارب[٣٥].

وقرأ أبي، وابن عباس وابن أبي عبلة: (تذريه) بضم التاء وكسر الراء بعدها ياء ساكنة وهاء مكسورة، وقرأ ابن مسعود كذلك، إلا أنه فتح التاء[٣٦].

يقول تعالى مخاطباً لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: اضرب للناس مثل الحياة الدنيا ليتصوروها حق التصور، ويعرفوا ظاهرها وباطنها، فيقيسوا بينها وبين الدار الباقية، ويؤثروا أيهما أولى بالإيثار، وأن مثل هذه الحياة الدنيا كمثل المطر ينزل على الأرض، فيختلط بنباتها، وتنبت من كل زوج بهيج – فما هي إلا أيام حتى يبدو النبات خضراً يهتز أمام الناظرين، ثم يبدأ بالازدهار التي قد تشكلت من مختلف الألوان فتلفت إليها عيون الناظرين، ثم تبدأ بعد تلقيحها بالرياح بعقد الثمرات التي يتطلع إليها الآكلون، فما هي إلا أيام قليلة فتراها قد جفت وذبلت وحان قطافها –كذلك هذه الدنيا، بينما صاحبها قد أعجب بشبابه، وفاق فيها أقرانه وأترابه، وحصل درهمها ودينارها، واقتطف من لذة أزهارها، وظن أنه لا يزال فيها سائر أيامه، إذ أصابه الموت أو التلف لماله، فذهب عنه سروره، وزالت عنه لذته وحبوره.. وانفرد بصالح أو سيء أعماله، هنالك يعظ الظالم على يديه، حين يعلم حقيقة ما هو عليه[٣٧].

ففي هذا المثل يصور الله سرعة زوال الدنيا وانقضائها، بفعل الريح الشديدة بالهشيم حين تذروه وتفرقه.

ما يستنبط من الآية:

١- يكثر ضرب الأمثال في القرآن، وذلك لتقريب الأمور المعنوية بأشياء حسية مشاهدة، لتكون أقرب إلى الذهن وأدعي إلى الفهم.

٢- تصور الآية سرعة زوال الدنيا واضمحلالها، بحال النبات وما يؤول إليه من اليبس والهشيم، وتفريق الريح له بكل مكان بعد أن كان خضراً مزهراً.

٣- تشير الآية إلى تسخير الله سبحانه للرياح لذري المحاصيل، فتطير التبن وتبقي الحب، ولولا هذه الريح المسخرة لصعب على الناس معالجة زروعهم.

٤- وتختم الآية بقدرة الله الباهرة على كل شيء.

المبحث الرابع

في الحديث عن الرياح المبشرة والناشرة

وفيه مطلبان:

قد سخر الله لعبادة الرياح وجعل لها عدة منافع، وفي هذا المبحث ذكر بعض تلك المنافع، فمنها: الرياح المبشرة، ومنها الرياح الناشرة.

المطلب الأول: في الحديث عن الرياح المبشرة

يمتن الله سبحانه على عباده بما سخر لهم من الرياح التي تبشر بالسحاب وتسوقه إليهم، فيحي الله به الأرض بعد موتها فتخرج ثمراتها.

قال تعالى: (وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (الروم: ٤٦).

يعدد الله سبحانه وتعالى لعباده في هذه الآية بعض آياته الدالة على كمال قدرته، ومن ذلك: إرساله الرياح مبشرات بالمطر، وإذاقتهم من رحمته، وإجرائه الفلك بتلك الرياح، وليبتغوا من فضله، ولعلهم يشكرون المنعم وحده.

أي ومن أدلته على وحدانيته وحججه عليكم على أنه إله كل شيء والمتصرف فيه: (أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ).

قال الزجاج: معني يبشرك يسرك ويفرحك بشرت الرجل أبشره، إذا فرحته، وبشر يبشر، إذا فرح قال: ومعني يبشرك: من البشارة، قال: وأصل هذا كله أن بشرة الإنسان تنبسط عند السرور، ومن هذا قولهم: فلان يلقاني ببشر، أي بوجه منبسط عند السرور.

وقال الليث: البشارة: ما بشرت به، والبشير: الذي يبشر القوم بأمر خير أو شر، والبشارة: حق ما يعطي من ذلك، البشري الاسم، يقال: بشرته فأبشر واستبشر، وتبشر.

وقال أيضاً: يقال للطرائق التي تراها على وجه الأرض من آثار الرياح التي تهب بالسحاب إذا هي جرته: التباشير، والمبشرات: الرياح التي تهب بالسحاب والغيث(٣٨).

وقال الراغب: (أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ) أي تبشر بالمطر(٣٩).

والمبشرات: المؤذنة بالخير هو المطر. وأصل البشارة: الخبر السار. شبهت الرياح برسل موجهة بأخبار المسرة(٤٠).

في هذه الآية يمتن الله على عبادة بأن أدر لهم رزقه، وأرسل الرياح مبشرات بين يدي رحمته، وهو: المطر، فثار بها السحاب وتألف، وصار كسفاً، وألقحته وأدرته بإذن آمرها والمتصرف فيها، ليقع استبشار العباد بالمطر قبل نزوله، وليستعدوا له قبل أن يفاجئهم دفعة واحدة(٤١).

قوله: (أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ) أي تبشر العباد بقرب نزول الغيث، ليستعدوا لتلقي ذلك قبل أن يفاجئهم على غرة، فيتسبب عن ذلك حصول أضرار قد تفوق المنافع الحاصلة من المطر، وهذا من رحمة الله بعباده ولطفه بهم، فجعل لهم من فوائد هذه الرياح البشارة بالمطر، والمهلة بينها وبين نزوله ليتأهبوا ويستعدوا لذلك.

(وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ) لينزل عليكم من رحمته، وهي: الغيث الذي يحي به البلاد(٤٢)

ذكر الله في هذه الآية أن من منافع الرياح، أنه يذيق بها العباد من رحمته وهو المطر، الذي تحيي به الأرض، وتنتفع به الزروع والثمار، ويلقح بها الشجر، وغير ذلك من المنافع التابعة لها كـ: ذري الحبوب وتخفيف العفونة، وما سوي ذلك من النعم والمصالح.

(وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ) ومن فوائد هذه الرياح المتعددة، أنها تجري بها السفن في البحر، وفي ذلك أعظم نعمة على العباد، فيركبون البحر للاصطياد، والتجارة، ونقل البضائع، فلولا هذه الرياح المسخرة لإجراء الفلك لتعطلت كثير من المصالح، ومن تمام هذه النعمة أن هذه الريح مناسبة لسير السفن فليست عاصفة بحيث تحدث الضرر، وليست ساكنة بحيث تتوقف تلك السفن عن الجريان، كما أشار إلى ذلك سبحانه بقوله: (إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) (الشورى: ٣٣).

قال الرازي: (لما أسند سبحانه الفعل إلى الفلك عقبه بقوله: (بِأَمْرِهِ) أي الفعل ظاهراً عليه ولكنه بأمر الله) [٤٣].

(وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) يرشد سبحانه عباده في هذه الآية إلى العديد من المنافع المترتبة على إرسال الرياح، سواء في التجارة في البحر، أو في ذري الأطعمة، أو في إصلاح الهواء، أو في إزالة العفونة من الجو، إلى غير ذلك من المصالح العامة الحاصلة من الرياح.

قال الرازي: (ولما قال سبحانه: (وَلِتَبْتَغُوا) مسنداً إلى العباد ذكر بعده (مِنْ فَضْلِهِ) أي لا استقلال لشيء بشيء[٤٤].

(وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) من سخر لكم الأسباب، وسير لكم الأمور، فهذا المقصود من النعم، أن تقابل بشكر الله تعالى، ليزيدكم الله منها، ويبقيها عليكم. أما مقابلة النعم بالكفر والمعاصي، فهذه حال من بدل نعمة الله كفراً، ونعمته محنة، وهو معرض لها للزوال، والانتقال منه إلى غيرة[٤٥].

ما يستنبط من الآية

١- يذكر الله سبحانه عباده أن من آياته الباهرة قدرته على إرسال الرياح مبشرات، ليذيقهم من رحمته أي المطر، وفي ذلك نعم كبيرة ومصالح عظيمة، ليستعدوا لاستقبال المطر قبل وصوله، ولئلا يحصل من نزوله عليهم بغتة ضرر أعظم من النفع الحاصل من نزوله.

٢- كما أن من آياته العظيمة الدالة على كمال قدرته، إجراء الفلك في البحر بواسطة تلك الرياح، ولو سكنت الريح لبقيت السفن راكدة على سطح البحر، فهو سبحانه يذكر عباده بذلك، لداوموا على شكره على ما أنعم به عليهم.

٣- وأن من آياته العظيمة سبحانه: ابتغاء الخلق من فضله، حيث يسر لهم أسباب الرزق وجبلهم على السعي لطلبه.

٤- ثم أرشد سبحانه عباده في نهاية هذه النعم، إلى أن يثنوا عليه ويشكروه، على ما يسر لهم من المنافع ودفع عنهم من المضار.

المطلب الثاني: في الحديث عن الرياح الناشرة

وفيه ثلاث آيات:

ورد في كتاب الله ثلاث آيات يمتن بها سبحانه على عباده بإرسال الرياح الناشرة للسحاب والخير

الآية الأولى:

قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (الأعراف: ٥٧).

هذه الآية ضمن الآيات التي تتحدث عن فوائد الرياح، وقد سبق الحديث في الآية السابقة عن معاني (مُبَشِّرَاتٍ)، وفي هذا المطلب أذكر القراءات الواردة في (نَشْرًا) ورد في لفظ (بشْرًا) عدة قراءات:

فقرأ عاصم: الرياح جماعة بشرا بالباء والشين ساكنة، وهي جمع بشيرة أي: تبشر بالمطر والخير، فهي تهب قبل نزول المطر تبشر به، ليستعد العباد لتقبله قبل أن يفاجئهم بغتة.

وقرأ ابن كثير: (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَحَ) واحدة، (نَشْرًا) مضمونة النون والشين.

وقرأ أبو عمرو ونافع: (الرِّيَاحَ) جماعة (نَشْرًا) مضمومة النون والشين، وهي جمع نشور أي: تنشر السحب.

وقرأ ابن عامر: (الرِّيَاحَ) جماعة (نَشْرًا) مضمومة النون ساكنة الشين[٤٦]،

أما معني هذا اللفظ: فقال أبو عبيد: النشر الريح. وقال الليث: النشر الريح الطيبة. وفي الحديث: خرج معاوية ونشره أمامه، يعني ريح المسك. وقال ثعلب: ومن المنشورة قوله: (نشراً بين يدي رحمته) أي سخاء وكرامة، وهي الريح الطيبة الهبوب، تهب من كل ناحية وجانب، وقال أبو عبيدة: النشر: المتفرقة من كل جانب، وقال أبو علي: يحتمل أن تكون النشور بمعني المنشر، وبمعني المنتشر، وبمعني الناشر، يقال: أنشر الله الريح، مثل أحياها، فنشرت أي: حييت[٤٧].

ومعني الآية: أن الله يرسل الرياح لينا هبوبها، طيباً نسيمها، أمام غيثه الذي يسوقه بها إلى خلقه، فينشي بها سحاباً ثقالاً، حتى إذا أقلتها، أي: حملتها، ساقه الله لإحياء بلد ميت قد تعفت مزارعه، ودرست مشاربه، وأجدب أهله، فأنزل به المطر، وأخرج به من كل الثمرات[٤٨].

ما يستنبط من الآية:

١- تشير هذه الآية إلى تفرد الله وحده بالقدرة على إرسال الرياح مبشرة أمام المطر قبل نزوله، ليستعد البشر ويتهيئوا لنزول المطر قبل أن يبغتهم على غرة.

٢- كما أن الله سبحانه هو القادر وحده على سوق السحاب إلى أي جهة شاء سبحانه، وليس في مقدور أحد من البشر مهما كانت قوته على ذلك.

٣- أن الله وحده هو القادر على إنزال الماء من السماء بقدر ما تحتاج إليه الأرض، من غير ضرر على المساكن والمزارع والممتلكات[٤٩].

٤- يضرب الله الأمثال، ويذكر الدلائل والعبر للناس، لعلهم يتذكرون بذلك قدرة الله وتفرده بالألوهية، دون معبوداتهم المزعومة.

الآية الثانية:

قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا) (الفرقان: ٤٨).

هذه الآية ضمن الآيات التي تتحدث عن فوائد الرياح، وقد سبق الحديث في الآيات السابقة عن القراءات في لفظ (نَشْرًا) [٥٠].

قوله تعالى: (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا). فهذه الجملة عطف على جملة: (أَرْسَلَ الرِّيَاحَ) فهي داخلة في حيز القصر، أي وهو الذي أنزل من السماء ماء طهوراً.

وضمير (وَأَنْزَلْنَا) التفات من الغيبة إلى التكلم، لأن التكلم أليق بمقام الامتنان، والطهور: بفتح الطاء من أمثلة المبالغة في الوصف بالمصدر، كما يقال: رجل صبور.

وماء المطر بالغ منتهي الطهارة إذ لم يختلط به شيء يكدره أو يقذره، وهو في علم الكيمياء أنقي المياه لخلوه عن جميع الجراثيم فهو الصافي حقاً. والمعني: أن الماء النازل من السماء هو بالغ في نهاية الطهارة في جنسه من المياه، ووصف الماء بالطهور يقتضي أنه مطهر لغيره، إذ العدول عن صيغة فاعل إلى صيغة فعول لزيادة معني في الوصف، فاقتضاؤه في هذه الآية أنه مطهر لغيره اقتضاء التزامي ليكون مستكملاً وصف الطهارة القاصرة والمتعدية، فيكون ذكر هذا والوصف إدماجاً لمنة في أثناء المنن المقصودة.. ولولا ذلك لكان الأحق بمقام الامتنان وصف الماء بالصفاء أو نحو ذلك[٥١].

وما يستنبط من الآية:

١- يمتن سبحانه على عباده في هذه الآية، بأنه وحده القادر على إرسال الرياح التي تنشر المطر وتفرقه.

٢- ثم أردف ذلك سبحانه، بإتمام نعمته عليهم بإنزال الماء الطهور، الذي تفوق طهارته جميع أنواع المياه.

الآية الثالثة:

قال تعالى: (أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (النمل: ٦٣).

وهذه الآية أيضاً من ضمن الآيات التي تتحدث عن فوائد الريح، وسبقت الإشارة إلى ذكر القراءات في لفظ (نَشْرًا) [٥٢].

ومما تجدر الإشارة إلية في هذه الآية: أن فيها دلائل للناس، وخاصة المسافرين منهم، فهو الهادي لهم سبحانه في ظلمات البر والبحر، ثم أتبع هذا الامتنان بفوائد الرياح في إثارة السحاب الذي به المطر وهو المعني برحمة الله، ثم ذيل سبحانه هذه المنن بتنزيه الله تعالى عن إشراكهم معه آلهة، لأن هذا خاتمة الاستدلال عليهم بما لا ينازعون في أنه من تصرف الله فجئ بعده بالتنزيه عن الشرك كله، ومن المعلوم أن من وضع تلك الأسباب التي أدت إلى تلك المنافع العجيبة والحكم البالغة فذلك الواضع هو الذي فعل تلك المنافع، فلابد من شهادة هذه الأمور على مدبر حكيم واجب لذاته[٥٣].

ما يستنبط من الآية:

١- في هذه الآية بين الله سبحانه لعباده تفرده بتدبير ما في الكون من مخلوقات، ومن ذلك هداية المسافرين في البر والبحر بواسطة النجوم.

٢- كما أن من تمام نعمه على عباده إرسال الرياح ناشرات للمطر، لتتم عليهم النعمة بحصول المنفعة به بدون أي ضرر.

٣- وفي نهاية الآية يقرر سبحانه تفرده بالألوهية، دون آلهتهم المزعومة.

المبحث الخامس

في الحديث عن الرياح المثيرة للسحاب

من المنافع التي جعلها الله للرياح: إثارة السحاب النازل منه المطر، الذي يستبشر به العباد، وقد ورد ذلك آيتان في كتاب الله تعالى:

الآية الأولي:

قال تعالى: (اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) (الروم: ٤٨).

الإثارة: تحريكاً القار تحريكاً يضطرب به عن موضعه، وإثارة السحاب: إنشاؤه بما تحدثه الرياح في الأجواء من رطوبة تحصل من تفاعل الحرارة والبرودة.

والبسط: النشر. والسماء: الجو الأعلى وهو جو الأسحبة.

(وَكَيْفَ) هنا مجردة عن معني الاستفهام، وموقعها المفعولية المطلقة من (يبسطه) لأنها نائبة عن المصدر، أي يبسطه بسطاً كيفيته يشاؤها الله[٥٤].

وهذه الآية تدل على أن الرياح هي التي تكون السحب. والسحب على أنواع فمنها: السحاب الركامي الذي يمتد رأساً في العلو على شكل جبال ويصاحبه برق ورعد وبرد. وهناك السحاب الطبقي: وهو يمتد أفقياً في شكل طبقة قد تصل إلى ٢٠٠ كم ثم تأتي طبقة ثانية وتمتد في أسفل الطبقة الأولي، ثم طبقة ثالثة في الأسفل، ثم طبقة رابعة الخ.....

يقول العلماء: إن السحاب الطبقي لا يصاحبه برق ولا رعد ولا برد، ولكن ينزل المطر فقط، ويكون ذلك في حالات معينة، وليس في جميع الأحيان. فالمطر لا ينزل إلا إذا اجتمع أربع طبقات من السحاب، أما إذا اجتمع ثلاث طبقات من السحاب فيتكون المطر ولكنه لا يتساقط على الأرض، لأنه لا يلبث أن يتبخر في الجو، لأن كثافة القطرات تكون خفيفة وأما في حال اجتماع طبقتين من السحاب أو طبقة واحدة فلا يتكون المطر. وهنا تأتي كلمة (كِسَفًا) وهي التي تصف طبقات السحاب(٥٥).

قرأ القراء قوله تعالى: (وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا) مفتوحة السين غير ابن عامر فإنه قرأ: (كسفاً) ساكنة السين، والكسف: القطع، الواحدة كسفة، مثل سدرة وسدر، ومن قرأ (كسفاً) أمكن أن يجعله مثل سدرة وسدر، فيكون معني القراءتين واحداً.

وقوله: (فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ) يجوز أن يعود الضمير إلى الكسف فذكر، كما جاء (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ) (يس: ٨٠)، ويجوز أن يعود إلى السحاب، ومن قال: (كسفا) رجع الضمير إلى السحاب على قوله لا غير(٥٦).

قال الفراء: وسمعت أعرابياً يقول: أعطني كسفة من ثوبك يريد قطعة، كقولك خرقة(٥٧).

قال الزجاج: فمن قرأ كسفاً جعلها جمع كسفة، وهي القطعة، ومن قرأ كسفاً فكأنه قال: أو تسقطها طبقاً علينا، واشتقاقه من كسفت الشيء إذا غطيته(٥٨).

وفي قراءة الضحاك وأبي العالية وابن عباس: (فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ) ويجوز أن يكون خلل جمع خلال(٥٩).

يخبر تعالى عن كمال قدرته، وتمام نعمته على عباده، أنه يرسل الرياح فتثير سحاباً من الأرض فيبسطه في السماء أي يمده ويوسعه كيف يشاء أي: على أي حالة أرادها من ذلك ثم يجعله أي ذلك السحاب الواسع كسفاً أي سحاباً ثخيناً، قد طبق بعضه فوق بعض، فتري الودق يخرج من خلاله أي: السحاب،

نقطاً صغاراً متفرقة، لا تنزل جميعاً، فتفسد ما أتت عليه، فإذا أصاب به: بذلك المطر، من يشاء من عباده إذاهم يستبشرون يبشر بعضهم بعضاً بنزوله، وذلك لشدة حاجتهم وضرورتهم إليه(٦٠).

وأفادت صيغة الحصر بقوله: (اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ) أنه هو المتصرف في هذا الشأن العجيب دون غيره، وكفى بهذا إبطالاً لإلهية الأصنام، لأنها لا تستطيع مثل هذا الصنع الذي هو أقرب التصرفات في شؤون البشر، والتعبير بصيغة المضارع في: (يرسل، وتثير، ويبسطه، ويجعله) لاستحضار الصور العجيبة في تلك التصرفات حتى كأن السامع يشاهد تكوينها، مع الدلالة على تجدد ذلك(٦١).

ما يستنبط من الآية:

١- يبين الله سبحانه لعباده في هذه الآية، أنه وحده القادر على إرسال الرياح المثيرة للسحاب، وهو الباسط له في السماء كيف يشاء، ثم يجعله كسفاً أي قطعاً متراكمة، ثم ينزل المطر من خلال تلك القطع من السحاب، فيستبشر العباد إذا أصابهم شيء من ذلك المطر.

٢- وفي قوله: (فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) (الروم: ٤٨) أكبر دلالة على تفرد الله بالمشيئة النافعة للعباد، فلو أنزل المطر بالوسائل الحديثة لاحتمل وجود الضرر لكثير من الناس، بسبب عدم القدرة على ضبط الكمية النازلة، ولم يحصل الاستبشار الذي ذكر الله هنا.

الآية الثانية:

قال تعالى: (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ) (فاطر: ٩).

هذه الآية ضمن الآيات التي تشير إلى فوائد الرياح بإثارة السحاب، وسيق في الآية التي قبلها بيان بعض المعاني المتكررة هنا، وسأشير في هذا الموضع للمعاني التي لم يسبق لها ذكر هناك.

قال الزمخشري: (فإن قلت: لم جاء (فَتُثِيرُ) على المضارعة دون ما قبله وما بعده قلت: ليحكي الحال التي تقع فيها إثارة الرياح السحاب، تستحضر تلك الصور البديعة الدالة على القدرة الربانية، وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب أو تهم المخاطب أو غير ذلك.. فسوق السحاب إلى البلد الميت وإحياء الأرض بالمطر بعد موتها لما كانا من الدلائل على القدرة الباهرة قيل: فسقنا، وأحيينا، معدولاً بهما عن لفظ الغيبة إلى ما هو أدخل في الاختصاص وأدل عليه(٦٢).

في هذه الآية احتجاج على الكفرة في إنكار البعث من القبور، فدلهم سبحانه على المثال الذي يعاينونه، وهو سواء مع إحياء الموتى(٦٣).

وقال سبحانه: (فَسُقْنَاهُ) بعد أن قال: (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ) وهذا من تلوين الخطاب والتصرف في البلاغة(٦٤). قال أبو عبيدة: مجازه: فنسوقه(٦٥).

وقال سبحانه هنا: (فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ) دون فأحييناه أي البلد الميت به، تعليقاً للأحياء بالجنس المعلوم عند كل أحد وهو الأرض، ولأن ذلك أوفق بأمر البعث،

وقال تعالى: (بَعْدَ مَوْتِهَا) مع أن الإحياء مؤذن بذلك، لما فيه من الإشارة إلى أن الموت للأرض الذي تعلق بها الإحياء معلوم لهم، وبذلك يقوي أمر التشبيه فليتأمل(٦٦).

والمراد بالنشور هنا: إحياء الموتى في يوم القيامة،

قال ابن الأثير: (يقال: نشر الميت ينشر نشوراً، إذا عاش بعد الموت. وأنشره الله: أي أحياه(٦٧).

ما يستنبط من الآية:

١- يذكر سبحانه عباده في هذه الآية، بأنه وحده القادر على إرسال الرياح المثيرة للسحاب.

٢- ويضرب سبحانه مثلاً حسياً لعباده بإحياء الموتى ونشرهم من قبورهم بالسحاب الذي تثيره الرياح، فيسوقه الله إلى بلد ميته أرضه فتحي الأرض وتنبت الأعشاب بذلك الماء.

المبحث السادس

في الحديث عن الريح المسيرة والمجرية للفلك

ومن منافع الريح العظيمة: إجراء الفلك في البحار بقدرة الله سبحانه وتعالى، وقد ورد في ذلك آيتان من كتاب الله تعالى:

الآية الأولى:

قال تعالى: (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا) الآية (يونس: ٢٢).

قال ابن فارس: (سير: السين والياء والراء أصل واحد يدل على مضي وجريان، يقال: سار يسير سيراً، وذلك يكون ليلاً ونهاراً) [٦٨].

وقال الراغب: (سار: السير المضي في الأرض ورجل سائر وسيارة والسيارة الجماعة (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) والتسيير ضربان، أحدهما: بالأمر والاختيار والإرادة من السائر نحو: (هو الذي يسيركم)، والثاني: بالقهر والتسخير كتسخير الجبال (وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ) (التكوير: ٣) [٦٩].

إن السفن في البحر إنما تسير بريح واحدة، وهي التي تأتي من وجه واحد، فإذا اختلفت الرياح على السفن وتقابلت لم يتم سيرها، فالمقصود منها هو البحر خلاف المقصود منها في البر، إذ المقصود منها في البحر أن تكون واحدة طيبة لا يعارضها شيء، فأفردت هنا وجمعت في البر.

وسر ذلك: أن رياح الرحمة مختلفة الصفات والمهاب والمنافع، وإذا هاجت منها ريح أنشأ لها ما يقابلها وما يكسر سورتها ويصدم حدتها، فينشأ من بينهما ريح لطيفة تنفع الحيوان والنبات، فكل ريح منها في مقابلها ما يعدلها ويرد سورتها فكانت في الرحمة ريحاً، وأما في العذاب فإنها تأتي من وجه واحد وحمام واحد لا يقوم لها شيء، ولا يعارضها غيرها حتى تنتهي إلى حيث أمرت، لا يرد سورتها ولا يكسر شرتها

شيء، فتمتثل ما أمرت به، وتصيب ما أرسلت إليه، ولهذا وصف سبحانه الريح التي أرسلها على عاد بأنها عقيم، وهي التي لا تلقح ولا خبر فيها، والتي تعقم ما مرت عليه(٧٠).

واختلف في قراءة: (يُسَيِّرُكُمْ) فقرأ ابن عامر وحده: (ينشركم) بالنون والشين من النشر، وقرأ الباقون: (يُسَيِّرُكُمْ) بضم الياء وفتح السين من التسيير(٧١).

وإسناد التسيير إلى الله تعالى باعتبار أنه سببه، لأنه خالق إلهام التفكير وقوى الحركة العقلية والجسدية، فالإسناد مجاز عقلي، فالقصر المفاد من جملة (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ) قصر ادعائي، والكلام مستعمل في الامتنان والتعريض بإخلالهم بواجب الشكر. و (حَتَّى) ابتدائية، وهي غاية للتسيير في البحار خاصة، وإنما كانت غاية باعتبار ما عطف على مدخولها من قوله: (دعوا الله – إلى قوله بغير الحق) والمغيا هو ما في قوله: (يُسَيِّرُكُمْ) من المنة المؤذنة بأنه تسيير رفق ملائم للناس، فكان ما بعد (حَتَّى) ومعطوفاتها نهاية ذلك الرفق، لأن تلك الحالة التي بعد (حَتَّى) ينتهي عندها السير المنعم به ويدخلون في حالة البأساء والضراء، وهذا النظم نسج بديع في أفانين الكلام. ومن بديع الأسلوب في الآية أنها لما كانت بصدد ذكر النعمة جاءت بضمائر الخطاب الصالحة لجميع السامعين، فلما تهيأت للانتقال إلى ذكر الضراء واقع الانتقال من ضمائر الخطاب إلى ضمير الغيبة لتلوين الأسلوب بما يخلصه إلى الإفضاء إلى ما يخص المشركين فقال: (وَجَرَيْنَ بِهِمْ) على طريقة الالتفات(٧٢).

ما يستنبط من الآية:

١- في هذه الآية يمتن سبحانه على عباده بتسييره لهم في البر والبحر، ويخبر عن فرحهم عندما تجري بهم الريح الطيبة، فإذا عصفت بهم الريح وجاءهم الموج من كل مكان وأيقنوا بالهلاك، أخلصوا العبادة لله وأظهروا الشكر له سبحانه.

الآية الثانية:

قال تعالى: (إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) (الشورى: ٣٣).

هذه الآية ضمن الآيات التي تتحدث عن فوائد الريح، بالنسبة لإجرائها الفلك في البحر، ففيها أعظم منه على عباده، للاستفادة من ركوب البحر، فالسفن الشراعية لا تسير إلا بواسطة الريح، فيذكرهم سبحانه بأنه لو شاء لعطل مصالحهم، وذلك بإسكان الريح المجرية للسفن.

السكون: ثبوت الشيء بعد تحرك. وإسكان الريح قطع هبوبها، فإن الريح حركة وتموج في الهواء فإذا سكن ذلك التموج فلا ريح[٧٣].

والركود: الاستقرار والثبوت، ركد الماء والريح: أي سكن وكذلك السفينة[٧٤].

قوله تعالى: (إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ) أي التي تسير السفن في البحر لو شاء لسكنها حتى لا تتحرك السفن، بل تبقي راكدة لا تجئ ولا تذهب بل واقفة على ظهر الماء، (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ) أي: في الشدائد (شَكُورٍ) أي إن في تسخيره البحر وإجرائه الهوى بقدر ما يحتاجون إليه لسيرهم لدلالات على نعمه تعالى على خلقه، لكل صبار شكور، وهذه الآية فيها موعظة، وتخصيص الصبار الشكور تشريف له، والصبر والشكر فيهما الخير كله، ولا يكونان إلا في العالم[٧٥].

قال الرازي: (والمقصود: التنبيه على أن المؤمن يجب أن لا يكون غافلاً عن دلائل معرفة الله البتة، لأنه لابد وأن يكون إما في بلاء وإما في الآلاء، فإن كان في البلاء كان من الصابرين، وإن كان في النعماء كان من الشاكرين، وعلى هذا التفسير فإنه لا يكون البتة من الغافلين) [٧٦].

ما يستنبط من الآية:

١- في هذه الآية يذكر سبحانه عباده بنعمة الريح، التي فيها جريان الفلك في البحر، ولو شاء سبحانه لأسكن الريح فتتعطل تلك السفن عن الجريان، وبذلك تتعطل مصالحهم.

٢- وفي نهاية الآية يلفت سبحانه انتباههم إلى أخذ العبرة من ذلك، ووجوب شكره عند النعماء، والصبر على البلاء عند الضراء.

المبحث السابع

في الحديث عن ريح النصر

من المنافع التي أودعها سبحانه في الريح: أن جعلها وسائل وأودع فيها أسباباً لنصر عباده، فبها ينصرون وتسمي تلك الريح: بالصبا.

قال تعالى: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (الأنفال: ٤٦).

الصبا: الريح المعروفة صبت الريح تصبو صبا كما تري، وأصلها الواو، وإن شئت ثنيت الصبا فقلت: صبوان(٧٧).

الصبا: بفتح المهملة بعدها موحدة مقصورة يقال لها: القبول بفتح القاف لأنها تقابل باب الكعبة إذ مهبها من مشرق الشمس، وضدها الدبور وهي التي أهلكت بها قوم عاد، ومن لطيف المناسبة كون القبول نصرت أهل القبول، وكون الدبور أهلكت أهل الإدبار(٧٨).

وفي المراد بـ(الريح) هنا أربعة أقوال:

أحدها: تذهب شدتكم، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وقال السدي: حدتكم وجدكم، وقال الزجاج: صولتكم وقوتكم.

الثاني: يذهب نصركم، قاله مجاهد وقتادة.

الثالث: تتقطع دولتكم، قاله أبو عبيدة، وقال ابن قتيبة: يقال: هبت له ربح النصر: إذا كانت له الدولة، ويقال: له الريح اليوم، أي: الدولة.

الرابع: أنها ريح حقيقة، ولم يكن نصر قط إلا بريح يبعثها الله فتضرب وجوه العدو، وهذا قول ابن زيد ومقاتل[٧٩].

وقد وردت أحاديث تعضد القول الرابع، في أنها ريح النصر، منها ما أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور) [٨٠].

وأخرج أبو داود والترمذي عن النعمان بن مقرن قال: شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لم يقاتل من أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس، وتهب الرياح، وينزل النصر[٨١].

يقول تعالى لعباده المؤمنين: أطيعوا أيها المؤمنون ربكم ورسوله، فيما يأمركم به، وينهاكم عنه، ولا تخالفوهما في شيء (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا) أي لا تختلفوا فتفرقوا وتختلف قلوبكم فتفشلوا، أي: تضعفوا وتجبنوا (وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) وهذا مثل يقال للرجل إذا كان مقبلاً عليه ما يحبه ويسر به: الريح مقبلة عليه، يعني بذلك ما يحبه، والمراد هنا: وتذهب قوتكم وبأسكم فتضعفوا، ويدخلكم الوهن والخلل (وَاصْبِرُوا) أي: مع نبي الله صلى الله عليه وسلم عند لقاء عدوكم، ولا تنهزموا عنه، وتتركوه (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) يقول: اصبروا فإني معكم[٨٢].

ولما كان التنازع من شأنه أن يشنأ عنه اختلاف الآراء، وهو أمر مرتكز في الفطرة بسط القرآن القول فيه ببيان سيئ آثاره، فجاء بالتفريغ بالفاء في قوله: (فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) (الأنفال: ٤٦) فحذرهم أمرين معلوماً سوء مغبتهما: وهما: الفشل وذهاب الريح. والفشل: انحطاط القوة ومنه قوله تعالى: (وَلَوْ

أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ) (الأنفال: ٤٣) وهو هنا مراد به حقيقة الفشل في خصوص القتال ومدافعة العدو(٨٣).

وقد كان للصحابة رضي الله عنهم في باب الصبر والشجاعة والائتمار بما أمرهم الله ورسوله به، وامتثال ما أرشدهم إليه ما لم يكن لأحد من الأمم والقرون قبلهم، ولا يكون لأحد ممن بعدهم، فإنهم ببركة الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته فيما أمرهم، فتحوا القلوب والأقاليم شرقاً وغرباً في المدة اليسيرة، مع قلة عددهم بالنسبة إلى جيوش سائر الأقاليم(٨٤).

ما يستنبط من الآية:

١– يأمر الله سبحانه عباده بطاعته وطاعة رسوله، وفي ذلك صلاح دينهم ودنياهم، وأن هذا من أكبر أسباب النصر لهم على أعدائهم.

٢– وينهي عباده عن التنازع والاختلاف، وأن هذا سبب للفشل وذهاب القوة وريح والنصر.

٣– كما يرشد عباده إلى الصبر الذي فيه تحمل الأذى والمشاق من أجل رضا الله سبحانه.

٤– ثم يقرر الله ويؤكد معيته لعباده الصابرين، وفي ذلك تشجيع لهم على الصبر وتقوية لعزائمهم، وأن هذا من أسباب نصرهم.

المبحث الثامن

في الحديث عن الريح المسخرة لنبي الله لسليمان – عليه السلام –

وفيه ثلاثة مطالب:

لقد أيد الله أنبياءه بكثير من المعجزات والكرامات، والخصائص التي لم تكن لغيرهم، ومن ذلك ما خص الله به نبيه سليمان – عليه السلام – من تسخير الريح له، وقد ورد في ذلك ثلاث آيات من كتاب الله تعالى.

والتسخير: سياقة إلى الغرض المختص قهراً، قال تعالى: (وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ) (إبراهيم: ٣٢)، وقوله: (سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (الحج: ٣٦).

فالمسخر: هو المقيض للفعل، والسخري: هو الذي يقهر فيتسخر بإرادته(٨٥).

وقال الليث: سخرت السفينة إذا أطاعت وطاب لها السير، وقد سخرها الله تسخيراً، وتسخرت دابة لفلان: ركبتها بغير أجر(٨٦).

المطلب الأول: في الحديث عن الريح المسخرة للجري بأمره – عليه السلام –

قال تعالى: (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ) (الأنبياء: ٨١).

قال ابن السكيت: يقال: عصفت الريح وأعصفت فهي ريح عاصف ومعصفة إذا اشتدت. وقال الليث: وجمع العاصف عواصف، قال: والمعصفات الرياح التي تثير التراب والورق وعصف الزرع(٨٧).

أي: وسخرنا لسليمان الريح، وهي هواء متحرك، وهو جسم لطيف يمتنع بلطفه من القبض عليه، ويظهر للحس بحركته، والريح يذكر ويؤنث(٨٨).

الريح: منصوبة بعامل مقدر أي: وسخرنا الريح لسليمان، وقرأ ابن هرمز وأبو بكر عن عاصم في رواية، بالرفع على الابتداء، والخبر الجار والمجرور قبله، وقرأ الحسن وأبو رجاء بالجمع والنصب، وأبو حيوه بالجمع والرفع(٨٩).

وقوله: (عَاصِفَةً) شديدة الهبوب(٩٠)، قال ابن عباس: إن أمر الريح أن تعصف عصفت، وإذا أراد أن ترخي أرخت، كما ورد في سورة: (ص:٣٦) (رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ) والمعني: أنها تشتد إذا أراد، وتلين إذا أراد، فهي على حسب مقصده ومراده، وهذا أحد وجوه الجمع بين الآيتين.

والوجه الثاني: أن هذه الريح المسخرة لسليمان قد جمعت بين أمرين: فهي رخاء في نفسها أي: رخية طيبة كالنسيم، وعاصفة في عملها كما قال سبحانه: (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ) (سبأ: ١٢)، مع طاعتها لسليمان وهبوبها على حسب ما يريد، فهي آية إلى آية ومعجزة إلى معجزة.

والوجه الثالث: أن العاصفة هي في القفول، على عادة البشر والدواب في الإسراع إلى الوطن ولذلك قال: (عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا) وهي الشام مسكن سليمان، والرخاء: هي التي تكون في البدأة (حَيْثُ أَصَابَ) أي: حيث يقصد؛ لأن ذلك وقت تأن وتدبير وتقلب رأي(٩١).

قال الزمخشري: فإن قلت: وصفت هذه الرياح بالعصف تارة وبالرخاء أخرى فما التوفيق بينهما، قلت: كانت في نفسها رخية طيبة كالنسيم، فإذا مرت بكرسيه أبعدت به في مدة يسيرة على ما قال: (غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ) فكان جمعها بين الأمرين أن تكون رخاء في نفسها، وعاصفة في عملها مع طاعتها لسليمان وهبوبها على حسب ما يريد، وقيل: كانت في وقت رخاء وفي وقت عاصفا، لهبوبها على حكم إرادته(٩٢).

وقال الطاهر بن عاشور: (معني ذلك: سخرنا لسليمان الريح التي شأنها العصوف، فمعني (فَسَخَّرْنَا لَهُ) (ص: ٣٦) جعلناها له رخاء، فانتصب (عَاصِفَةً) في آية سورة الأنبياء على الحال من (الرِّيحُ) وهي حال منتقلة، ولما أعقبه بقوله: (تَجْرِي بِأَمْرِهِ) علم أن عصفها يصير إلى لين بأمر سليمان، أي دعائه، أو بعزمه، أو رغبته، لأنه لا تصلح له أن تكون عاصفة بحال من الأحوال، فهذا وجه دفع التنافي بين الحالين في الآيتين) (٩٣).

قال الفراء: (كانت الريح تجري بسليمان إلى كل موضع، ثم تعود به من يومه إلى منزله، فذلك قوله تعالى: (تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا).

وقال أبو حيان: (وقد أكثر الإخباريون في ملك سليمان، ولا ينبغي أن يعتمد إلا على ما قصه الله في كتابه وفي حديث رسوله صلى الله عليه وسلم) [٩٤].

ما يستنبط من الآية:

١- تسخير الله سبحانه لبعض مخلوقاته لأحد من خلقه، دليل على كرامته عنده.

٢- من نعم الله التي أنعمها على عبده سليمان – عليه السلام – أن سخر له الريح في أسفاره على حسب حاجته.

٣- وسخر سبحانه الريح العاصفة فجعلها لسليمان – عليه السلام – رهن إشارته وتأتمر بأمره.

المطلب الثاني: في الريح المسخرة لسليمان – عليه السلام – السريعة الجري

قال تعالى: (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ) (سبأ: ١٢).

قال ابن فارس: (الغين والدال والحرف المعتل أصل صحيح يدل على زمان. من ذلك الغدو، يقال: غدا يغدو. والغدوة والغداة، وجمع الغدوة غدي، وجمع الغدات غدوات) [٩٥].

والغدوة – بالضم - : البكرة، وقيل: ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس[٩٦].

فالغدوة: بالفتح سير أول النهار، وقال الجوهري: ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس. والروحة بالفتح: السير بعد الزوال[٩٧].

قوله (غُدُوُّهَا) أي: سير غدو تلك الريح المسخرة له شهر، أي: مسيرة شهر.

(وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ) أي: سير رواحها سير شهر.

قال الحسن: كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر[٩٨] وبينهما مسيرة شهر للمسرع، ثم يروح من اصطخر فيبيت بكابل[٩٩]، وبينهما مسيرة شهر للمسرع[١٠٠].

وقال قتادة والسدي: كانت تسير في اليوم مسيرة شهرين للراكب[١٠١].

لقد سخر الله الريح لنبيه سليمان، وجعلها ملائمة لسير سفائنه للغزو أو التجارة، فجعل الله لمراسيه في شطوط فلسطين، رياحاً موسمية تهب شهراً مشرقة لتذهب في ذلك الموسم سفنه، وتهب شهراً مغربة لترجع سفنه إلى شواطئ فلسطين كما بين ذلك سبحانه بقوله:

(وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ) (الأنبياء: ٨١)[١٠٢].

يذكر الله سبحانه في هذه الآية نعمته على عبده سليمان بما سخر له من الريح التي تحمله ومن معه المسافات البعيدة في الوقت الوجيز، ففي هذا راحة من كلفة السفر، وتوفير للوقت حيث أنها تقطع في اليوم الواحد مسافة شهرين للراكب السريع.

ما يستنبط من الآية:

١- يبين الله فى هذه الآية مقدار سير الريح في انطلاقها وقفولها، وأن ذلك مسيرة شهر للدواب المعهودة في ذلك الوقت.

٢- كما يمتن سبحانه على عبده بإسالة عين القطر له وهو النحاس.

٣- وكذلك تسخير الجن له في الأعمال الشاقة، فهم بين يديه يعملون ورهن إشارته يمتثلون.

٤- ومن تمام المنة منه سبحانه على عبده، تسخيرهم لطاعته، وتوعد من لم يمتثل منهم أمره بعذاب السعير، وفي ذلك تمام الراحة لسليمان – عليه السلام – من مكابدة أذى العمالة بالبطالة.

المطلب الثالث: في الحديث عن الريح المسخرة لسليمان – عليه السلام – والمؤتمرة بأمره حيث أراد، وهي الرخاء.

قال تعالى: (فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ) (ص: ٣٦).

من نعم الله العظيمة على نبيه سليمان – عليه السلام – : تسخير الريح له. قال الراغب: (التسخير سياقه إلى الغرض المختص قهواً (وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ) (إبراهيم: ٣٢) فالمسخر هو المقيض للفعل) (١٠٣). والتسخير: الإلجاء إلى عمل بدون اختيار، وهو مستعار هنا لتكوين أسباب تصرف الريح إلى الجهات التي يريد سليمان توجيه سفنه إليها لتكون معينة سفنه على سرعة سيرها، ولئلا تعاكس وجهة سفنه، والمراد بقوله: (بِأَمْرِهِ) مستعار للرغبة، أو للدعاء بان يدعو الله أن تكون الريح متجهة إلى صوب كذا حسب خطة أسفار سفائنه، أو يرغب ذلك في نفسه، فيصرف الله الريح إلى ما يلائم رغبته(١٠٤).

قال الليث: الرخاء: الريح السريعة لا تزعزع شيئاً(١٠٥).

وقال الحسن: ليست بعاصفة ولا الهينة، بين ذلك رخاء. ومعني (تَجْرِي بِأَمْرِهِ) قال: مطيعة (حَيْثُ أَصَابَ) حيث أراد، وقال: لما عقر سليمان – عليه السلام – الخيل أبدله الله خيراً منها، وأمر الريح تجري بأمره كيف يشاء(١٠٦).

ما يستنبط من الآية:

١- من نعم الله سبحانه على عبده سليمان – عليه السلام – تسخير الريح له، تأتمر بأمره، فهي رهن إشارته وعلى حسب مصلحته.

٢- كما يمتن سبحانه على عبده، بأن الريح المسخرة له رخاء، وهي السريعة التي لا تتعطل مصالحه لبطئها، وليس فيها إزعاج لسرعتها.

٣- ومن أعظم مزايا تلك الريح: أنها تجري بأمره، وتتكيف على حسب حاجته من السرعة أو دونها.

المبحث التاسع

في الحديث عن الريح الجالبة لرائحة قميص يوسف – عليه السلام –

من أعظم فوائد الريح سرعة السير، وعدم التوقف لا ليلاً ولا نهاراً، وكذا نقلها للراوئح الطيبة والزكية، وإذهابها للروائح المؤذية والخبيثة، والأدخنة والغازات السامة، وقد سخر الله الريح لنقل ريح قميص يوسف لأبيه يعقوب – عليهما السلام – قبل وصول البشير بثمانية أيام كما ورد ذلك عن ابن عباس – رضي الله عنهما –(١٠٧).

قال تعالى: (وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ) (يوسف: ٩٤).

معني (فَصَلَتِ الْعِيرُ) أي: خرجت وابتعدت عن المكان، والمراد هنا: خرجت من مصر(١٠٨).

والمراد بالريح هنا: هي الرائحة، وهي ما يعبق من طيب تدركه حاسة الشم(١٠٩).

وقد سخر الله الريح فنقلت تلك الرائحة لقميص يوسف – عليه السلام – إلى أبيه يعقوب، مع أن بينهما مسافة ثمانية أيام، وهذه معجزة وكرامة لنبي الله يعقوب – عليه السلام –.

أخرج الطبري عن أبن عباس قال: هاجت ريح فجاءت بريح قميص يوسف من مسيرة ثمان ليال.

وأخرج عن الحسن وابن جريج: أنه كان بينهما يؤمئذ ثمانون فرسخاً، يوسف بأرض مصر، ويعقوب بأرض كنعان.

وأما معني تفندون فقال ابن جرير اختلف في معني ذلك:

فقيل: تعنفوني، وتعجزوني، وتلوموني، وتكذبوني، وقيل: تجهلون، وتسفهون(١١٠).

قال الرازي: (واختلفوا في كيفية وصول تلك الرائحة إليه، فقال مجاهد: هبت ريح فصفقت القميص ففاحت روائح الجنة في الدنيا، واتصلت بيعقوب، فوجد ريح الجنة فعلم – عليه السلام – أنه ليس في الدنيا من ريح الجنة إلا ما كان من ذلك القميص، فمن ثم قال: (إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ) [١١١].

ما يستنبط من الآية:

١– تعدد فوائد الريح، وعظم المصالح المترتبة عليها.

٢– أن الريح من جنود الله المسخرة، فقد تأتي بالبشارة وقد تأتي بالنذارة.

٣– بيان كرامة الله لبعض أوليائه، ففي هذه الآية كرامة ليعقوب بتعجيل بشارته.

٤– شدة تعلق الوالد بولده، رغم طول الفراق بينهما، فلم ييأس من لقائه به فقد قيل أنه كان بينهما منذ افترقا أربعون سنة، وقيل ثمانون سنة.

٥– منة الله على عباده بمعرفة الريح الطيبة من الريح الخبيثة.

٦– تصريح يعقوب – عليه السلام – بما شعر به من الرائحة، رغم معرفته بتجهيل أهله له بذلك.

الفصل الثاني

في الحديث عن ما ورد من فوائد الريح بغير اللفظ الصريح

وفيه أربعة مباحث:

ورد الحديث عن الريح في القرآن بألفاظ أخرى، غير صريحة، وسأبينها في المباحث التالية:

المبحث الأول

في الحديث عن الرياح الذارية

قال تعالى: (وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (١) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (٢) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (٣) فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا) (الذاريات: ١ – ٤).

قال الليث: (يقال: ذرت الريح التراب تذروه ذرواً، إذا حملته فأثارته). وقال شمر: (ومعني (أذرته): قلعته ورمت به، وهما لغتان: ذرت الريح التراب تذروه وتذريه) (١١٢).

والحاملات: السحاب الكثير الماء لكونه حاملاً للماء، والحمل: السحاب الأسود.

(وِقْرًا): يعني السحاب تحمل الماء الذي أوقرها(١١٣).

والجاريات يسراً: هي السفن تجري في الماء جرياً سهلاً(١١٤).

أخرج ابن عيينة في تفسيره قال: سمعت أبا الطفيل قال سمعت ابن الكواء يسأل علي بن أبي طالب عن الذاريات ذرواً قال: الرياح، وعن الحاملات وقراً قال: السحاب، وعن الجاريات يسراً قال: السفن، وعن المقسمات أمراً قال: الملائكة(١١٥).

وقال الزمخشري بعد أن ذكر تفسير علي بن أبي طالب: (ويجوز أن يراد الرياح لا غير، لأنها تنشئ السحاب وتقله وتصرفه وتجري في الجو جرياً سهلاً وتقسم الأمطار بتصريف السحاب، ثم ذكر معني الفاء على التفسيرين.

فعلى الأول: معني التعقيب فيها: أنه تعالى أقسم بالرياح فبالسحاب الذي تسوقه فبالفلك التي تجري بهبوبها فبالملائكة التي تقسم الأرزاق بإذن الله من الأمطار وتجارات البحر ومنافعه.

وأما الثاني: فلأنها تبتدئ بالهبوب فتذرو التراب والحصباء فتنقل السحاب فتجري في الجو باسطة له فتقسم المطر) [١١٦].

وكذا رجح هذا القول الرازي فقال: (والأقرب أن تكون هذه الصفات الأربع للرياح، فالذاريات: هي الرياح التي تنشئ السحاب أولاً، والحاملات: هي الرياح التي تحمل السحب التي هي بخار المياه التي إذا سحت جرت السيول العظيمة، وهي أوقار أثقل من الجبال. والجاريات: هي الرياح التي تجري بالسحب بعد حملها، والمقسمات: هي الرياح التي تفرق الأمطار على الأقطار) [١١٧].

وكذا قال الطاهر بن عاشور: (أنه الأنسب، لعطف الصفات بالفاء) [١١٨].

وقال ابن القيم: (أقسم تعالى: بالذاريات وهي: الرياح تذرو المطر، وتذرو التراب، وتذرو النبات إذا تهشم، ثم بما فوقها: وهي السحاب الحاملات وقرا، أي: ثقلاً من الماء، وهي روايا الأرض، يسوقها الله سبحانه على متون السحاب، ثم أقسم سبحانه بما فوق ذلك، وهي الجاريات يسرا: وهي النجوم التي من فوق الغمام[١١٩].

وقوله: (يُسْرًا) أي: مسخرة مذللة منقادة، وقال جماعة من المفسرين إنها السفن تجري ميسرة في الماء جرياً سهلاً، ومنهم من لم يذكر غيره[١٢٠].

وقد اختار شيخنا رحمه الله القول الأول، وقال: هو أحسن في الترتيب، والانتقال من السافل إلى العالي؛ فإنه بدأ بالرياح، وفوقها السحاب، وفوقه النجوم، وفوقها الملائكة المقسمات أمر الله الذي أمرت به بين خلقه(١٢١).

واقسم سبحانه بهذه الأمور الأربعة لمكان العبرة والآية، والدلالة الباهرة على ربوبيته ووحدانيته، وعظم قدرته. ففي الرياح من العبر: هبوبها وسكونها، ولينها وشدتها، واختلاف طبائعها وصفاتها ومهابها وتصريفها، وتنوع منافعها، وشدة الحاجة إليها.

فللمطر خمسة رياح: ريح ينشر سحابه، وريح يؤلف بينه، وريح تلقحه، وريح تسوقه حيث يريد الله، وريح تذرو أمامه وتفرقه.

وللنبات ريح، وللسفن ريح، وللرحمة ريح، وللعذاب ريح، إلى غير ذلك من أنواع الريح)(١٢٢).

والرياح أقوي خلق الله كما ورد في ذلك الحديث عند الترمذي من رواية أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لما خلق الله الأرض جعلت تميد، فخلق الجبال فعاد بها عليها فاستقرت، فعجبت الملائكة من شدة الجبال، قالوا: يارب هل من خلقك شيء أشد من الجبال؟ قال: نعم الحديد، قالوا: يارب فهل من خلقك شيء أشد من الحديد؟ قال: نعم النار، فقالوا: يارب فهل من خلقك شيء أشد من النار؟ قال: نعم الماء، قالوا: يارب فهل من خلقك شيء أشد من الماء؟ قال: نعم الريح، قالوا: يارب فهل من خلقك شيء أشد من الريح؟ قال: نعم ابن آدم، تصدق بصدقة بيمينه يخفيها عن شماله). قال أبو عيسي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه(١٢٣).

فالرياح من أعظم آيات الله الدالة على عظمته وربوبيته وقدرته، ولذلك تعددت منافعها، حتى شملت السماوات والأرض.

ما يستنبط من الآيات:

١- يقسم الله بهذه الأنواع من الرياح وذلك لعظمتها، فالقسم لا يكون إلا بعظيم، ولأمر عظيم.

٢- ومن نعم الله على عباده، الرياح التي جعلها الله سبباً لذري المحصولات، وتجفيف المزروعات، وذهاب ما يؤذيهم من دخان وأبخرة ضارة.

٣- كما أن من أنواع الرياح المسخرة لبني آدم، الرياح الحاملة للسحاب الموقر بالمياه في الجو، مع ثقل كمية الماء، ولطافة الريح، وفي ذلك أعظم العبر والدلائل على قدرة الباري جل وعلا.

٤- ومن أنواع الرياح المسخرة لمصالح بني آدم، الرياح المجرية للسحاب في الجو، فهي تسوقها وتزجيها إلى حيث أمرها الله.

٥- أما المقسمات فقيل أنها الرياح التي تقسم السحاب والأمطار على الأقطار حسب أمر العزيز الغفار، وقيل هي الملائكة التي تقسم أوامر الله بين العباد.

المبحث الثاني

في الحديث عن الرياح المرسلة

الله سبحانه وحده المتصرف في الكون، وله سبحانه أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، وقد أقسم هنا بعدد من المخلوقات العظيمة، القوية التأثير في الكون، فمن تلك المخلوقات الرياح العظيمة التي سخرها الله لمصالح لعباده حينا، وللانتقام من بعضهم أحياناً أخرى، ومن ذلك المخلوقات أيضاً الملائكة المقربون الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وسنتحدث في هذا المبحث عن الرياح، حيث ذهب كثير من السلف أن المقصود بهذه الآيات الرياح.

قال تعالى: (وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا) (المرسلات: ١ – ٤).

قال ابن فارس: (الراء والسين واللام، أصل واحد مطرد منقاس، يدل على الانبعاث والامتداد. فالرسل: السير السهل. وناقة رسلة: لا تكلفك سياقاً. والمرسلات: الرياح) [١٢٤].

ورد في المراد بالمرسلات هنا عدة أقوال:

أحدها: أن المراد بـ(والْمُرْسَلَاتِ) الرياح، وهو قول مجاهد، وقتادة، وابن مسعود، وابن عباس[١٢٥].

ويؤيد هذا القول قوله تعالى: (يُرْسِلُ الرِّيَاحَ) (الأعراف: ٥٧)، وقوله (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ) (الحجر: ٢٢).

وقال بذلك الزجاج. قال ابن القيم: ويؤيد هذا القول: عطف العاصفات عليها بفاء التعقيب والتسبب، فكأنها أرسلت فعصفت[١٢٦].

الثاني: أن المراد بها: الملائكة، وهو قول ابن عباس في رواية الكلبي، وقول أبي صالح عن أبي هريرة، وقول مسروق، ومقاتل، وقال بذلك الفراء[١٢٧].

والثالث: أن المراد بها: الأنبياء، وهو قول ابن عباس في رواية عطاء[١٢٨].

وقال ابن تيمية: و (والْمُرْسَلَاتِ) سواء كانت هي الملائكة النازلة بالوحي والمقسم عليه الجزاء في الآخرة، أو الرياح، أو هذا وهذا، فهي معلومة[١٢٩].

ومعني (عُرْفًا): أي متتابعة، وهو قول من قال في (والْمُرْسَلَاتِ) إنها الرياح.

قال الزجاج: أرسلت كعرف الفرس، وقال الفراء: تتابعت كعرف الفرس[١٣٠].

وقيل المراد بالعرف: أنه بمعني المعروف كقوله (وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ) (الأعراف: ١٩٩) وهو قول من قال إن المراد بالمرسلات الملائكة[١٣١].

قوله تعالى (فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا) أي الرياح الشديدة الهبوب، وقيل الملائكة[١٣٢].

قوله تعالى: (وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا) هي: الرياح التي تأتي بالمطر، قال بذلك: مجاهد، وابن مسعود، والحسن وقتادة[١٣٣].

ويدل على هذا قوله تعالى: (يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ) (الأعراف: ٥٧). أي أنها تنشر السحاب نشرا، وهذا على قراءة من قرأ (نشرا) بالنون.

وقال مقاتل: يعني الملائكة ينشرون كتب بني آدم، وصحائف أعمالهم[١٣٤].

وقال أبو صالح: يعني المطر[١٣٥].

وقال ابن جرير: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن الله اقسم بالناشرات نشراً، ولم يخصص شيئاً دون شيء، فالريح تنشر السحاب، والمطر ينشر الأرض، والملائكة تنشر الكتاب، ولا دلالة من وجه يجب التسليم له على أن المراد من ذلك بعض دون بعض، فذلك على كل ما كان ناشراً[١٣٦].

قوله تعالى: (فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا) أي: الملائكة، تأتي بما يفرق بين الحق والباطل، والحلال والحرام، قال بذلك: ابن عباس، ومجاهد، وأبو صالح، والضحاك، وابن مسعود[١٣٧].

وقال مجاهد: هي الرياح، التي تفرق بين السحاب فتبدده[١٣٨].

وقال قتادة: هي آي القرآن فرقت بين الحق والباطل، والحلال والحرام، وهو قول الحسن[١٣٩].

وقال ابن جرير: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله سبحانه أقسم بكل فارقة بين الحق والباطل، ملكاً كان أو قرآناً، أو غير ذلك[١٤٠].

قال ابن القيم: (وهنا أمر ينبغي التفطن له، وهو أنه سبحانه جعل الأقسام في هذه السورة نوعين، وفصل أحدهما من الآخر، وجعل العاصفات معطوفا على المرسلات بفاء التعقيب فصارا كأنهما نوع واحد، ثم جعل الناشرات كأنه قسم مبتدأ فأتى فيه بالواو، ثم عطف عليه الفارقات والملقيات بالفاء، فأوهم هذا أن الفارقات والملقيات مرتبط بالناشرات، وان العاصفات مرتبط بالمرسلات، وقد اختلف في الفارقات، والأكثرون على أنها الملائكة، ويدل عليه عطف الملقيات ذكراً عليها بالفاء، وهي الملائكة بالاتفاق، وعلى هذا يكون القسم بالملائكة التي تنشر أجنحتها عند النزول ففرقت بين الحق والباطل، فالقت الذكر

على الرسل أعذاراً وإنذاراً، ومن جعل الناشرات الرياح جعل الفارقات صفة لها، وقال: هي تفرق السحاب هاهنا وهاهنا، ولكن يأبي ذلك عطف الملقيات بالفاء عليها، ومن قال: الفارقات آي القرآن يفرق بين الحق والباطل فقوله يلتئم مع كون الناشرات الملائكة أكثر من التئامة إذا قيل: إنها الرياح)[١٤١].

وقال الألوسي: وعطف الناشرات على ما قبل بالواو ظاهر للتغاير بالذات بينهما، وعطف العاصفات على المرسلات، والفارقات على الناشرات وكذا ما بعده بالفاء لتنزيل تغاير الصفات منزلة تغاير الذات[١٤٢].

ما يستنبط من الآيات:

١- يقسم الله بهذه الأنواع من الرياح، وذلك لعظمها وكثرة منافعها، فالقسم لا يكون إلا بعظيم، ولأمر عظيم.

٢- ومن تلك الرياح: الرياح المرسلة، وقد وصفها الله بأنها عرفاً أي متتابعة الهبوب، مستمرة في التتابع.

٣- كما أقسم سبحانه بالرياح العاصفة وهي الشديدة الهبوب، القوية التأثير في الكون.

٤- وأقسم سبحانه بالناشرات، وهي الرياح التي تنشر السحاب وتفرقه بين الأقطار.

٥- وكذا الفارقات، وهي الرياح التي تفرق السحاب، وقيل الملائكة التي تفرق بين الحق والباطل.

المبحث الثالث

في الحديث عن الريح المزجية للفلك والسحاب

وفيه مطلبان:

قد سخر الله نوعاً من الريح خاص بإزجاء السفن في البحار، وكذلك إزجاء السحاب إلى بعض الأقطار.

قال ابن فارس: الزاء والجيم والحرف المعتل يدل على الرمي بالشيء وتسييره من غير حبس، فالريح تزجي السحاب: تسوقه سوقاً رفيقاً[١٤٣].

وقال الراغب: زجا: التزجية دفع الشيء لينساق كتزجية رديف البعير تزجية الريح السحاب قال: (يُزْجِي سَحَابًا) (النور: ٤٣) وقال: (يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ) (الإسراء: ٦٦) [١٤٤].

قال الليث: (التزجية: دفع الشيء كما تزجي البصرة ولدها، أي تسوقه.

والريح تزجي السحاب: أي تسوقه سوقاً رفيقاً، والمزجي القليل) [١٤٥].

والإزجاء: سوق الثقيل السير، إما لضعف، أو لثقل حمل، أو غيره، فالإبل الضعاف تزجي، والسحاب تزجي.

والبضاعة المزجاة: هي التي تحتاج لاختلالها أن تساق بشفاعة، وتدفع بمعاون إلى الذي يقبضها، وإزجاء الفلك: سوقه بالريح اللينة والمجادف[١٤٦].

فهذه الريح التي امتن الله بها على عباده لتزجي لهم الفلك: هي ريح طيبة لطيفة، ذات اتجاه واحد، حتى تواكب اتجاه الفلك إلى الجهة التي تقصدها، فليست راكدة بحيث تمنع جريان الفلك كما قال سبحانه: (إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ) (الشورى: ٣٣)، وليست عاصف شديدة الهبوب، فتزعج الركاب بإثارة الأمواج البحرية، التي قد تسبب انقلاب الفلك وغرقها، وقد ورد وصف تلك الريح

المزجية للفلك بقوله سبحانه: (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) (يونس: ٢٢).

قال القرطبي: (الريح الطيبة: غير عاصف ولا بطيئة، والعاصف: الشديدة، يقال: عصفت الريح وأعصفت، فهي عاصف ومعصف ومعصفة أي شديدة) [١٤٧].

فمن خلال هذه الآية، والتعريف لكل من الريح الطيبة والريح العاصف، يتبين لنا وصف تلك الريح التي امتن الله بها على خلقه لإزجاء الفلك لهم، فهي ليست ساكنة بحيث تمنع سير الفلك، ولا عاصف بحيث تعيق سيرها بتلاطم الأمواج، ومن صفتها أنها تناسب وجهتهم في الذهاب والقفول حتى تتم عليهم النعمة بالامتنان بتلك الريح.

المطلب الأول: في الحديث عن الريح المزجية للفلك

قال تعالى: (رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) (الإسراء: ٦٦).

في هذه الآية دلالة على قدرة الله وحكمته ورحمته، وهي ضمن أدلة الكتاب على تقرير دلائل التوحيد، والخطاب فيها لجماعة المشركين، كما يدل عليه قوله سبحانه عقب تلك الآية: (فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ) (الإسراء: ٦٧)، وقد افتتحت الجملة بالمسند إليه معرفاً بالإضافة ومستحضراً بصفة الربوبية، لاستدعاء إقبال السامعين على الخبر المؤذن بأهميته، ليتقبله السامع بقلب صادق، إما مؤمن متذكر، أو مشرك ناظر متدبر، وجئ بالجملة الاسمية لدلالتها على الدوام والثبات، وبتعريف طرفيها للدلالة على الانحصار، وجئ بالصلة فعلاً مضارعاً للدلالة على تكرر ذلك وتجدده، فحصلت في هذا الجملة على إيجازها معان جمة خصوصية، وفي ذلك حد الإعجاز[١٤٨].

يذكر الله سبحانه وتعالى نعمته على العباد، بما سخر لهم من الفلك، والسفن والمراكب، وألهمهم كيفية صنعها، وسخر لهم البحر الملتطم، يحملها على ظهره، لينتفع العباد بها في الركوب والحمل للأمتعة والتجارة، وهذا من رحمته بعباده، فإنه لم يزل بهم رحيماً رؤوفاً، يؤتيهم من كل ما تعلقت به إرادتهم ومنافعهم، لكن هذه النعم لا تتم ولا يمكن الاستفادة منها إلا بحصول وسيلة تفعلها ليتأتى لهم الاستفادة منها، فسخر لهم سبحانه الريح لتزجي لهم تلك الفلك، وتظهر رحمة الله بهم حيث يسر لهم أسباب الرزق والراحة.

ما يستنبط من الآية:

١- من أعظم النعم التي من الله بها سبحانه على عباده، الريح المزجية للفلك في البحار، وذلك من لطفه بعباده، وقد صدر الآية بوصف الربوبية ليشعرهم بكمال تربيته لهم.

٢- التعبير بالإزجاء يوحي بكمال العناية واللطف منه سبحانه، فهو سوق خيف لا إزعاج فيه ولا عسر.

٣- يرشد سبحانه عباده إلى طلب الفضل منه، وذلك بفعل الأسباب لكسب الرزق في البحر أو غيره.

٤- ويختم الآية بصفة الرحمة، إشارة منه سبحانه إلى سعة رحمته، حيث يسر لهم سبل الكسب في البحر، رغم عظم الخطر المتوقع حصوله فيه، لولا رحمة الله ولطفه بهم.

المطلب الثاني: في الحديث عن الريح المزجية للسحاب

قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ) (النور: ٤٣).

هذه من ضمن الآيات التي تتحدث عن فوائد الريح، وهي الريح المزجية للسحاب، وسبق في المبحث الأول بيان معني الإزجاء.

أما السحاب: فقال ابن فارس: (السين والحاء والباء، أصل صحيح يدل على جر شيء مبسوط ومده، تقول: سحبت ذيلي بالأرض سحباً. وسمي السحاب سحاباً تشبيهاً له بذلك، كأنه ينسحب في الهواء انسحاباً) (١٤٩).

وقال ابن دريد: (وسحبت الشيء أسحبه سحباً إذا جررته – وكل منجر منسحب – ومنه اشتقاق السحاب لانسحابه في الهواء) (١٥٠).

والتأليف: قال ابن فارس: (ألف: الهمزة واللام والفاء اصل واحد، يدل على انضمام الشيء إلى الشيء، والأشياء الكثيرة أيضاً. قال الخليل: ألفت الشيء آلفه. والألفة مصدر الائتلاف. وإلفك وأليفك: الذي تألفه، وكل شيء ضممت بعضه إلى بعض فقد ألفته تأليفاً) (١٥١).

والركام كما قال الليث: (جمعك شيئاً فوق شيء حتى تجعله ركاماً مركوماً كركام الرمل والسحاب ونحو ذلك من الشيء المرتكم بعضه على بعض).

وقال ابن الأعرابي: (الركم: السحاب المتراكم) (١٥٢).

أما كيفية إزجاء الرياح للسحاب: فإن الله سبحانه يسوق السحاب برفق بواسطة الرياح، ثم يجمع السحاب بعضها إلى بعض إلى أن يصبح ركامياً، أي مجتمعاً بعضه إلى بعض، ثم تري المطر يخرج من

خلال هذه السحب، ومن خصائص السحب الركامية أنها تنموا في الارتفاع وتصل إلى علو كبير فتصبح أشبه بالجبال الشامخة، ومن ميزة هذه السحب أنها تنزل البرد، كما أنه يتولد منها البرق الذي يحدث أضراراً مثل العمي المؤقت، وبالطبع فقد جاء هذا الوصف في القرآن مطابقاً للاكتشافات الحديثة(١٥٣).

قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا) يزجي معناه: يسوق والإزجاء إنما يستعمل في سوق كل ثقيل ومدافعته، كالسحاب والإبل (ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ) أي: بين السحاب، وأضاف بين إلى السحاب، ولم يذكر معه غيره، وبين لا تكون مضافة إلا إلى جماعة أو اثنين؛ لأن السحاب في معني جمع، واحده سحابة، (ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا) أي: يجعل السحاب الذي يزجيه، ويؤلف بعضه إلى بعض ركاماً يعني: متراكماً بعضه على بعض.

ورد عن عبيد بن عمير الليثي قال: الرياح أربع: يبعث الله الريح الأولي، فتقم الأرض قماً ثم يبعث الثانية، فتنشي سحاباً، ثم يبعث الثالثة، فتؤلف بينه، فتجعله ركاماً، ثم يبعث الرابعة فتمطره(١٥٤).

قوله: (فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ) أي: تري المطر يخرج من بين السحاب، وهو الودق، والهاء في قوله: (مِنْ خِلَالِهِ) للسحاب، والخلال: جمع خلل، وقرأ ابن عباس والضحاك وأبو العالية: (من خلله).

قوله: (وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ) قيل في ذلك قولان:

أحدهما: أن معناه: أن الله ينزل من السماء من جبال في السماء من برد، مخلوقة هنالك خلقة، كأن الجبال هي من برد.

والقول الثاني: أن الله ينزل من السماء قدر جبال، وأمثال جبال من برد إلى الأرض.

قوله: (فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ) أي: يعذب بذلك الذي ينزل من السماء، من جبال البرد، من يشاء فيهلكه، أو يهلك به زرعه وماله، (وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ) من خلقه، أي: عن زروعهم

وأموالهم، (يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ) أي: يكاد شدة ضوء برق السحاب يذهب بأبصار من لاقي بصره، والسنا: ضوء البرق(١٥٥).

ما يستنبط من الآية:

١- في هذه الآية يلفت سبحانه نظر المخاطب إلى عظيم قدرته، في إزجاء السحاب في الجو وسوقه بواسطة الرياح.

٢- ثم يعقب على ذلك بقدرته الباهرة بالتأليف بين تلك السحب المتفرقة.

٣- ويجعل سبحانه بقدرته وحكمته ذلك السحاب ركاماً بعضه فوق بعض.

٤- وبعد هذا يصور سبحانه المشهد للمخاطب، بأنه يري الودق وهو المطر يخرج من خلاله أي من خلال ذلك السحاب المتراكم.

٥- ويخبر سبحانه بقدرته الباهرة على إنزال البرد، وهي القطع من الثلج من جبال في السماء، فيصيب بها من يشاء من عباده ويصرفها عن من يشاء.

٦- ثم يشير سبحانه إلى قدرته الباهرة في قوة لمعان البرق من بين هذه الكميات الهائلة من المياه، ومع ذلك لا تطفئ تلك المياه هذه النار التي تضئ من وسطها.

٧- تعظيم أثر البرق على الرائي له، فمن شدته يكاد يذهب بالأبصار.

المبحث الرابع

في الحديث عن الريح العاصرة للسحاب

قال تعالى: (وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا) (النبأ: ١٤)

يمتن الله سبحانه على عباده في هذه الآية بنوع من الرياح، وهي الرياح العاصرة للسحاب، فلولا وجود تلك الرياح التي تسوق السحاب ثم تعصره، لما جادت تلك السحب بالمطر الغزير الذي يعم كثيراً من الأوطان، على حسب مشيئة الله وإرادته.

قال الأزهري: (سميت الرياح معصرات إذا كانت ذوات أعاصير، واحدها إعصار) [١٥٦].

وقال ابن فارس: (العين والصاد والراء، أصول ثلاثة صحيحة، ومن الباب: المعصرات: سحائب تجئ بالمطر، قال الله سبحانه: (وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا).

فأما الرياح وتسميتهم إياها المعصرات فليس يبعد أن يحمل على هذا الباب من جهة المجاورة، لأنها لما أثارت السحاب المعصرات سميت معصرات وإعصاراً) [١٥٧].

أخرج الطبري عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد قولهم: هي الريح.

وأخرج عن قتادة قال: هي في بعض القراءات (وأنزلنا بالمعصرات): الرياح [١٥٨].

وقال ابن عطية: قرأ ابن الزبير وابن عباس والفضل بن عباس وقتادة وعكرمة (وأنزلنا بالمعصرات) فهذا يقوي أنه أراد الرياح[١٥٩].

وقال الزمخشري: قرأ عكرمة (بالمعصرات) وفيه وجهان:

أن يراد الرياح التي حان لها أن تعصر السحاب،

وأن يراد السحاب، لأنه إذا كان الإنزال منها فهو بها، كما تقول:

أعطي من يده درهماً، وأعطي بيده [١٦٠].

وأخرج الطبري عن سفيان، وأبن عباس، والربيع، أن المراد بالمعصرات السحاب.

وأخرج عن الحسن وقتادة أن المراد بها السماء.

وقال ابن جرير: وأولي الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه أنزل من المعصرات، وهي التي قد تحلبت بالماء من السحاب ماء.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لأن القول في ذلك على أحد الأقوال الثلاثة التي ذكرت، والرياح لا ماء فيها، وإنما ينزل بها، وكان يصح أن تكون الرياح، ولو كانت القراءة (وأنزلنا بالمعصرات) فلما كانت القراءة (مِنَ الْمُعْصِرَاتِ) علم أن المعني بذلك ما وصفت[١٦١].

ما يستنبط من الآية:

١- في هذه الآية يذكر الله سبحانه عباده بنعمته عليهم، بإنزال المطر عليهم غزيراً ليستقوا منه ويزرعوا.

٢- ومن تمام النعمة أن كان الماء نازلاً من السماء، سواء أريد بالمعصرات الرياح، أو السحاب، وذلك ليكون نزوله عاماً للسهل والجبل، ولو كان نابعاً من الأرض لما عم الجبال والتلال إلا بعد الإضرار بالسهول والوديان.

٣- ثم وصفه سبحانه بأنه ثجاجاً أي: منصباً، وقيل متتابعاً، وقيل: كثيراً، وذلك ليعم النفع به، فليس يسيراً، كالطل الذي لا يروي الأرض ولا الأشجار.

ملخص فوائد الريح الواردة في هذا الباب:

هذا بيان لمجمل ما ورد من فوائد الريح في هذا الباب:

١- من أعظم فوائد الريح: كونها مصرفة من جميع الجهات، ومتنوعة السرعات.

٢- تلقيحها للسحاب، والأشجار والثمار.

٣- كونها ذارية، وتذري بها الحبوب والثمار.

٤- أنها تبشر بالمطر، وتنشره.

٥- إثارتها للسحاب، سوقها له.

٦- إجراؤها للفلك في البحر.

٧- يتنزل بها النصر على عباد الله.

٨- تسخيرها لنبي الله سليمان – عليه السلام – بصفاتها المسخرة له: الرخاء، والسريعة السير في الغدو والرواح، والمؤتمرة بأمره.

٩- نقلها لرائحة قميص يوسف لأبيه يعقوب – عليهما السلام –.

١٠- حملها للسحاب، سوقها له، وتقسيمه بها.

١١- ومن فوائدها: إرسالها للسحاب، وعصفه بها، وتفريقها له.

١٢- كونها مزجية للفلك في البحر، وللسحاب في السماء.

١٣- وأنها تعصر المطر من السحاب.

الباب الثاني

في الحديث عن عواقب الريح المدمرة والمهلكة

ورد في كتاب الله تعالى عدة آيات تتحدث عن ما تسببه الريح من آثار وعواقب ضارة ومهلكة، منها ما ورد ذكره باللفظ الصريح، ومنها ما ورد بألفاظ أخرى غير صريحة، وسنتناولها بالتفصيل في الفصلين التاليين.

الفصل الأول

ما ورد من ذلك في كتاب الله باللفظ الصريح

وفيه ستة مباحث

المبحث الأول

في الحديث عن الريح التي فيها الصر

من الرياح الضارة بالحرث والثمار: الريح ذات الصر:

اختلف المفسرون، وأهل اللغة في المراد بالصر على عدة أقوال:

فقال ابن عباس، وقتادة، والربيع، والسدي، وابن زيد: الصر: البرد الشديد[١٦٢].

وورد عن ابن عباس: الصر: السموم الحارة التي تقتل[١٦٣].

وقيل: الصر: الصوت الذي يصحب الريح من شدة هبوبها، قال ابن الأنباري: وإنما وصفت النار بأنها صر لتصريتها عند الالتهاب[١٦٤].

قال ابن القيم بعد ذكره لتلك الأقوال: (والأقوال الثلاثة متلازمة، فهو برد شديد محرق بيبسه للحرث كما تحرقه النار، وفيه صوت شديد) [١٦٥].

وقال تعالى: (مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) (آل عمران: ١١٧).

قال الليث: (صر الجندب يصر صريراً، وصر الباب يصر، وكل صوت شبه ذلك فهو صرير إذا امتد، فإذا كان فيه تخفيف وترجيع في إعادة ضوعف، كقولك: صر ّ صر الأخطب صرصرة، والصر: البرد الذي يضرب النبات ويحسنه) [١٦٦].

قال مجاهد والحسن والسدي: ضرب الله مثلاً لما ينفقه الكفار في هذه الدار فقال سبحانه: (مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ) أي: برد شديد، قاله ابن عباس، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والحسن، وقتادة، والضحاك، والربيع بن أنس، وغيرهم(١٦٧).

وقال عطاء: برد وجليد، وعن ابن عباس أيضاً ومجاهد: (فِيهَا صِرٌّ) أي: نار، وهو يرجع إلى الأول، فإن البرد الشديد ولاسيما الجليد يحرق الزروع والثمار، كما يحرق الشيء بالنار.

(أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ) أي فأحرقته ودمرته، وأعدمت ما فيه من ثمر أو زرع، فذهبت به وأفسدته، فعدمه صاحبه احوج ما كان إليه، فكذلك الكفار يمحق الله ثواب أعمالهم في هذه الدنيا وثمرها، كما يذهب ثمرة الحرث بذنوب صاحبه(١٦٨).

وإنما وصفت النار أنها صر؛ لتصريتها عند الالتهاب(١٦٩).

ما يستنبط من الآية:

١- يقرب الله الأشياء المعنوية بضرب الأمثلة لها بأشياء حسية، تقريباً للأذهان، وتيسيراً على المخاطبين، لفهم المعاني المراد تبليغها لهم.

٢- يشبه الله في هذه الآية أعمال الكفار وذهاب ثوابها، بحرث قوم أصابته ريح شديدة فذهبت به وأهلكته.

٣- وصف الله الحياة بالدنيا، وذلك لدناءتها وحقارتها عنده سبحانه.

٤- ووصف سبحانه الريح بأن فيها صر، وهو الصوت الشديد الذي له صرير كصرير الباب ونحوه

٥- ثم وصف سبحانه القوم الذين أصابت الريح حرثهم، بظلمهم لأنفسهم، وذلك عدلاً منه سبحانه، فما أصابهم فهو بسبب ذنوبهم.

٦- ثم ختم الآية ببيان كمال عدله سبحانه بعدم ظلمه لأحد من خلقه، سواء الكفار، أو العصاة من المسلمين، بل هم الظالمون لأنفسهم.

المبحث الثاني

في الحديث عن الريح العاصف

وفيه مطلبان:

الريح إما أن تكون نافعة، وإما أن كون ضارة، فالنافعة الطيبة الهادئة، والضارة هي: الريح العاطف المهلكة.

قال ابن فارس: (عصف) العين والصاد والفاء، أصل واحد صحيح يدل على خفة وسرعة. فالأول من ذلك العصف: ما على الحب من قشور التبن.

والعصف: ما على ساق الزرع من الورق الذي ييبس فتفتت، كل ذلك من العصف.

والريح العاصف: الشديدة. قال الله تعالى: (جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ)، ومعني الكلام أنها تستخف الأشياء فتذهب بها تعصف بها. وقال بعض أهل العلم: ريح عاصفة نعت مبني على فعلت عصفت. وريح عاصف: ذات عصوف).

وقال الليث: وجمع العاصف: عواصف. قال: والمعصفات: الرياح التي تثير التراب والورق وعصف الزرع، وقال أيضاً: النعامة العصوف: السريعة،

والعصف: السرعة. والعصوف: السريعة من الإبل.

وقال اللحياني: أعصفت الناقة إذا أسرعت، فهي معصفة(١٧٠).

المطلب الأول: في الحديث عن الريح العاصف بالفلك

قال تعالى: (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) (يونس: ٢٢).

في هذه الآية يمتن الله سبحانه وتعالى على عباده بحملهم وسيرهم في البر والبحر، وسبق الحديث في المبحث السادس من الباب الأول عن الريح الطيبة المجرية للفلك في البحر.

وفي هذا المبحث سيكون الحديث عن الريح العاصف، وهي التي تعصف بالسفن فتغير وجهة سيرها، وثير ضدها الأمواج من كل مكان، حتى يكون حال الركاب كما ذكر جل وعلا: (وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ)، فعند ذلك يخلصون العمل لله.

قوله سبحانه: (جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ) أي ريح شديدة الهبوب، والعصف وصف خاص بالريح، أي شديدة السرعة. ولم تلحقه علامة التأنيث، لأنه مختص بوصف الريح فاستغني عن التأنيث[١٧١].

(وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ) الموج ما ارتفع من الماء (وَظَنُّوا) أي أيقنوا[١٧٢]. (أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ) أي أحاط بهم البلاء، يقال لمن وقع في بلية: قد أحيط به، كأن البلاء قد أحاط به، ومعني هذا أن العدو إذا أحاط بموضع فقد هلك أهله (دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) أي دعوه وحده وتركوا ما كانوا يعبدون من الآلهة، وفي هذا دليل على أن الخلق جلبوا على الرجوع إلى الله في الشدائد، وأن المضطر يجاب دعاؤه وإن كان كافراً؛ لانقطاع الأسباب ورجوعه إلى الواحد الأحد[١٧٣].

ما يستنبط من الآية:

١- يمتن سبحانه على عباده في هذه الآية بتيسير سيرهم في البر والبحر.

٢- ثم يذكرهم بفرحهم بالريح الطيبة التي تسير بهم الفلك في البحر.

٣– ثم ذكرهم بحالهم عندما تعصف بهم الريح الشديدة، وتحيط بهم الأمواج من كل مكان، وأنهم في تلك اللحظات بشر حال من الخوف والهلع مخافة الغرق.

٤– بيان التجائهم إلى الله في وقت الشدة، وإخلاص العبادة له وحده.

٥– تصريحهم بإعلان الشكر له، إن أنجاهم من الكرب الذي هم فيه بين تلك الأمواج المهلكة.

المطلب الثاني: في الحديث عن الريح العاصف بالرماد

قال تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ) (إبراهيم: ١٨).

هذه الآية من الأدلة على قوة تأثير الريح، وإنها جند من جند الله يسلطها على من يشاء من عباده.

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أعمال الكفار، وشبهها في الرماد الذي عصفت به الريح في يوم شديدة الهبوب فيه.

قوله: (عَاصِفٍ): فيه أوجه:

أحدها: أنه على تقدير: عاصف ريحه، أو عاصف الريح، ثم حذف الريح وجعلت الصفة لليوم مجازاً كقولهم: (يوم ماطر) و(ليل نائم)

الثاني: أنه على النسب، أي: ذي عصوف،ك: لابن، وتامر.

الثالث: أنه خفض على الجوار، أي: كان الأصل أن يتبع العاصف الريح في الأعراب فيقال: اشتدت به الريح العاصف في يوم، فلما وقع بعد اليوم أعرب بإعرابه(١٧٤).

والمعنى: أن أعمال الكفار محبطة غير مقبولة، فقد شبهها الله سبحانه بالرماد، وهو ما يبقي بعد احتراق الشيء، وقد اشتدت عليه الريح في يوم عاصف، أي شديد هبوب الرياح فيه، فإن الريح لا تبقي من

ذلك الرماد شيئاً، فكذلك أعمال الكفار يمحقها الله كما تمحق الريح ذلك الرماد، وإنما أحبطها الله، لأنهم أشركوا مع الله غيره[١٧٥].

وفي تشبيهها بالرماد سر بديع، وذلك للتشابه بين أعمالهم وبين الرماد في إحراق النار وإذهابها هذا وهذا، فكانت الأعمال التي لغير الله وعلى غير مراده طعمه للنار، وبها تسعر النار على أصحابها، وينشئ الله سبحانه لهم من أعمالهم الباطلة ناراً وعذاباً، كما ينشئ لأهل الأعمال الموافقة لأمره ونهيه التي هي خالصة لوجهه من أعمالهم نعيماً وروحاً، فأثرت النار في أعمال أولئك حتى جعلتها رماداً[١٧٦].

ما يستنبط من الآية:

١- ضرب الأمثال في القرآن يأتى لتقريب الأشياء المعنوية بأشياء حسية مشاهدة، لتكون أقرب للذهن وأدعي للفهم.

٢- في هذه الآية يشبه سبحانه أعمال الكفار بحبوطها وذهاب نفعها، بالرماد لخفته، وقد هبت عليه ريح شديدة في يوم عاصف، فالحال أنه لا يبقي منه شيء، فكذلك أعمال الكفار لا يثابون على شيء منها.

٣- ثم يختم الآية سبحانه بالإشارة إلى أن صنيع أولئك الكفار إنما هو ضلال بعيد.

المبحث الثالث

في الحديث عن أنواع الريح المهلكة للمشركين

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: في الحديث عن الريح القاصف

من عواقب الريح الضارة والمدمرة: الريح القاصف.

وهي: الريح الضارة والمدمرة: الريح القاصف[١٧٧].

القصف: هو كسر الشيء كسراً بشدة، والقاصف من الريح: هي التي تكسر الشجر وغيره مما تمر عليه، يقال: قصفت الريح السفينة، وريح قاصف: شديدة[١٧٨].

قال تعالى: (أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا) (الإسراء: ٦٩).

يتبين من سياق الآية: قوة عمل الريح القاصف، في قلب السفينة وإغراق أهلها في البحر.

يقول تعالى: أم أمنتم أيها المعرضون عنا بعد ما اعترفتم بتوحيدنا في البحر وخرجتم إلى البر، أن يعيدكم في البحر مرة ثانية، فيرسل عليكم قاصفاً من الريح، أي يقصف الصواري ويغرق المراكب.

قال ابن عباس وغيره: القاصف ريح البحار التي تكسر المراكب وتغرقها[١٧٩].

وقوله: (فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ) أي بسبب كفركم وإعراضكم عن الله تعالى.

وقوله: (ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا) قال ابن عباس: نصيراً، وقال مجاهد: نصيراً ثائراً، أي يأخذ بثأركم بعدكم، وقال قتادة: ولا نخاف أحد يتبعنا بشيء من ذلك[١٨٠].

واختلف القراء في قراءة: (أن نعيدكم)، (فنرسل عليكم)، (فنغرقكم):

فقرأ ابن كثير وابو عمرو بالنون ذلك كله.

وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي ذلك كله بالياء، فمن قرأ بالياء: فلأنه قد تقدم : (ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ) (فَلَمَّا نَجَّاكُمْ) (أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ).

وأما من قرأ بالنون: فلأن هذا النحو قد يقطع بعضه من بعض، وهو سهل، لأن المعني واحد، ألا تري أنه قد جاء: (وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا) (الإسراء: ٢)، فكما انتقل من الجميع إلى الإفراد لاتفاق المعني، كذلك يجوز أن ينتقل من الغيبة إلى الخطاب، والمعني واحد، وكل حسن[١٨١].

ما يستنبط من الآية:

١- في هذه الآية يخوف سبحانه عباده بإعادتهم إلى البحر مرة أخرى بعد خروجهم منه سالمين، ثم يرسل عليهم قاصفاً من الريح، وهي التي تكسر وتغرق ما أتت عليه لشدتها.

٢- ثم يبين لهم أن سبب هذا الإغراق، إنما هو بسبب كفرهم بالله سبحانه.

٣- وفي ختام الآية يبين لهم انقطاع نوع الأعوان والنصراء، الذين يمكن أن يستنجدوا بهم لمساعدتهم على تجاوز محنتهم التي وقعوا فيها.

المطلب الثاني: في الحديث عن الريح الهاوية بالمشركين

من جنود الله المسلطة على أعدائه الريح، فإذا أراد سبحانه إهلاك قوم أرسل عليهم الريح الشديدة، فتهوى بهم وتهلكهم.

هوى الشيء يهوى هوياً وهوياً إذا خر من علو إلى سفل. قال ابن الأعرابي: الهوى: السريع إلى أسفل، والهوى: السريع إلى فوق، يقال: هوت العقاب تهوى هوياً، إذا انقضت على صيد أو غيره ما لم ترغه، فإذا أراغته قيل: أهوت له أهواءا[١٨٢].

قال تعالى: (حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ) (الحج: ٣١).

قال الزمخشري: (يجوز في هذا التشبيه أن يكون من المركب والمفرق، فإن كان تشبيهاً مركباً فكأنه قال: من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكاً ليس بعده نهاية، بأن صور حالة بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق مزعاً في حواصلها، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح[١٨٣]. البعيدة، وإن كان مفرقاً: فقد شبه الإيمان في علوه بالسماء والذي ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من

السماء، والأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة، والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة) [١٨٤].

قوله: (حُنَفَاءَ) قال ابن عباس: يريد موحدين، وقال مجاهد: متبعين، وقال الحسن والسدي: حجاجاً، وقال الزجاج: مسلمين لا يميلون إلى دين غير دين الإسلام[١٨٥].

وأصل الحنيف: المائل عن الأديان كلها دين الإسلام[١٨٦].

وفي هذه الآية ضرب الله للمشرك مثلاً في ضلاله وهلاكه وبعده عن الهدى، فقال: (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ) أي سقط منها، (فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ) أي: تقطعه الطيور في الهواء، (أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ) أي: بعيد مهلك لمن وقع فيه[١٨٧].

يقال خطف يخطف: إذا أخذ بسرعه، وكذا يخطف بكسر الطاء[١٨٨].

وقرأ نافع: فتح الخاء مشدداً، وقرأ الباقون: بإسكان الخاء مخففاً[١٨٩].

(أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ) في هذا تخيير في نتيجة التشبيه، أشارت الآية إلى أن الكافرين قسمان: قسم شركة ذبذبة وشك، فهذا مشبه بمن اختطفته الطير فلا يستولي طائر على مزعه منه إلا انتهبها منه آخر، فكذلك المذبذب متى لاح له خيال اتبعه وترك ما كان عليه. وقسم مصمم على الكفر مستقر فيه، فهو مشبه بمن ألقته الريح في واد سحيق، وهو إيماء إلى أن من المشركين من شركة لا يرجي منه خلاص كالذي تخطفه الطير، ومنهم من شركة قد يخلص منه بالتوبة إلا أن توبته أمر بعيد عسير الحصول[١٩٠].

ما يستنبط من الآية:

١- في هذه الآية يشبه الله سبحانه حال المشرك بالله في عبادته لغير الله، بحال من خر من السماء فخطفته الطير بسرعة ومزقته قبل أن يصل إلى الأرض، فكذلك عمل الكافر يذهب ويضمحل، فلا يجده في صحائف أعماله يوم القيامة.

٢- والمثل الآخر لذهاب عمل الكافر في الدار الآخرة، مثل من هوت به الريح في مكان بعيد لا يستطيع القيام، ولا يهتدي إلى طريق الرجوع فيصل بسلام، فكذلك عمل الكافر، لا وجود له عند الله يوم القيامة.

المطلب الثالث: في الحديث عن ريح العذاب

فكما أن الريح تأتي بالمطر والنصر والخير، فكذلك تأتي بالعذاب، لمن أراد الله تعذيبه، ومن ذلك، ما قصه الله عن قوم عاد في قوله سبحانه:

قال تعالي: (فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ) (الأحقاف: ٢٤).

ذكر سبحانه في هذه الآية وصف الريح التي أرسلها على قوم عاد، بأنها ريح فيها عذاب أليم، ثم وصف مهمتها والغرض من إرسالها فقال سبحانه: (تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا) (الأحقاف: ٢٥)، فأهلكت القوم عن آخرهم، وعذبوا بتلك الريح، فأصبحت النتيجة أنه:

(لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ) لأنهم قد هلكوا جميعاً.

فنجد أن الله سبحانه قد قص علينا في هذه الآية قوم هود عندما رأوا السحاب عارضاً فقال سبحانه وتعالي: (فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا) قيل في هاء (رَأَوْهُ) قولان:

أحدهما: أنه عائد على قوله سبحانه في الآية السابقة: (مَا تَعِدُنَا) أي: من العذاب.

والثاني: أنه ضمير مبهم يفسره (عَارِضًا) إما تمييز أو حالاً، ذكر ذلك الزمخشري، ورده أبو حيان: بأن التمييز المفسر للضمير محصور في باب: رب وفي نعم وبئس، وبأن الحال لم يعهدوها أن توضح الضمير قبلها، وان النحويين لا يعرفون ذلك(١٩١).

والعارض: السحاب يعترض في الأفق(١٩٢).

وسمي بذلك: لأنه يبدو في عرض السماء، فلما رأوه حسبوه سحاباً يمطرهم، وكان المطر قد أبطأ عنهم، فلما رأوه استبشروا، وكان قد جاءهم من واد جرت العادة أن ما جاء منه يكون غيثاً(١٩٣).

أخرج الطبري عن عمرو بن ميمون قال: (كان هود قاعداً في قومه فجاء سحاب مكفهر(١٩٤). فـ (قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا) فقال: (بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ) قال: فجاءت ريح فجعلت تلقي الفسطاط، وتجئ بالرجل الغائب فتلقيه(١٩٥).

وكان استعجالهم حين قال لهود: (فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا) ثم بين ما هو فقال: (رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ) والريح التي عذبوا بها نشأت من ذلك السحاب الذي رأوه، وجعل العذاب مظروفاً في الريح مبالغة في التسبب، لأن الظرفية أشد ملابسه بين الظرف والمظروف من ملابسة السبب والمسبب(١٩٦).

قال ابن عباس: كانت الريح تطير بهم بين السماء والأرض حتى أهلكتهم(١٩٧).

ما يستنبط من الآية:

١- في هذه الآية يخبر سبحانه بحال العباد عند رؤية السحاب والغيم، وفرحهم واستبشارهم، طمعاً بنزول الغيث.

٢- بلاغة القرآن حيث أضرب عن الكلام الأول، وأخبر سبحانه بحلول العذاب عليهم من ذلك الغيم والسحاب.

٣- ثم وصف ما سيحل بهم من العذاب بأنها ريح فيها عذاب أليم.

٤- عظم وقدرة الباري جل وعلا، حيث جعل هذه الريح اللطيفة أحياناً تتحول إلى عذاب أليم.

المبحث الرابع

في الحديث عن الريح المرسلة على قوم عاد

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: في الحديث عن الريح العقيم

من أنواع الرياح الضارة: الريح العقيم، وهي التي لا نفع فيها، بل هي ضرر محض.

قال جماعه من المفسرين: هي التي لا تلقح شجراً، ولا تثير سحاباً، ولا تحمل مطراً، ولا خير فيها ولا بركة، ولا منفعة ولا رحمة، ولا ينزل بها غيث، إنما هي ريح الإهلاك، وهي عذاب على من أرسلت عليه(١٩٨).

وقد وصف الله سبحانه عملها ومهمتها بقوله سبحانه: (ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم).

قال تعالي: (وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ) (الذاريات: ٤١).

قوله: (الرِّيحَ الْعَقِيمَ):

قال سعيد بن المسيب: هي الجنوب(١٩٩). وقال مقاتل: هي الدبور(٢٠٠). وقال ابن عباس: هي النكباء(٢٠١).

وقال عبيد بن عمير: مسكنها الأرض الرابعة، وما فتح على عاد منها إلا كقدر منخر الثور(٢٠٢).

والعقيم من النساء: هي التي لا تلد، وكذلك يقال للذي لا يولد له: رجل عقيم، وفحل عقيم: إذا كان لا يلقح، وسميت الرياح بالعقيم هنا: حين لم تلقح الشجر ولم تحمل المطر(٢٠٣).

ما يستنبط من الآية:

١- من جنود الله المهلكة، ما أرسله الله على عاد، من الريح العقيم، وهي التي لا خير فيها ولا نفع.

٢- وقد وصفها سبحانه بأنها ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم، فهي قد أهلكت عاد عن آخرهم.

المطلب الثاني: في الحديث عن الريح المهلكة لقوم عاد وهي الصرصر

من جنود الله المهلكة لقوم عاد: كالريح الصر صر.

سبق الحديث عن الريح الصر صر وما المراد بها، في الباب الثاني، المبحث الأول من هذا البحث، وخلاصة القول في ذلك ما رجحه ابن القيم: (أنه برد شديد محرق بيبسه للحرث كما تحرقه النار، وفيه صوت شديد) [٢٠٤].

قال تعالى: (وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ) (الحاقة: ٦).

قوله: (بِرِيحٍ صَرْصَرٍ) أي شديدة العصوف مع شدة بردها[٢٠٥].

قوله: (عَاتِيَةٍ) أي ريح مهلكة باردة، عتت عليهم بغير رحمة، قال قتادة: عتت عليهم حتى نقبت عن أفئدتهم، وقال ابن عطية: العاتية معناها: الشديدة المخالفة، فكانت الريح عتت على الخزان بخلافها، وعتت على قوم عاد بشدتها[٢٠٦].

وأخرج الطبري عن ابن عباس وعلي ابن أبي طالب رضي الله عنهما: ما أرسل الله من ريح قط إلا بمكيال ولا أنزل قطرة قط إلا بمثقال، إلا يوم نوح ويوم عاد، فإن الماء يوم نوح طغي على خزانه، فلم يكن لهم عليه سبيل، ثم قرأ (إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ) (الحاقة: ١١). وإن الريح عتت على خزانها فلم يكن لهم عليها سبيل، ثم قرأ: (بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ) [٢٠٧].

وقال السعدي: (عَاتِيَةٍ) أي: عتت على خزانها، على قول كثير من المفسرين، أو عتت على عاد، وزادت على الحد كما هو الصحيح(٢٠٨).

قال الليث: عتا يعتو عتوا وعتيا، وهو مجاوزة الحد إذا استكبر، ويقال: عتت المرأة، وتعتي فلان(٢٠٩).

ما يستنبط من الآية:

١- وصف الله سبحانه الريح المرسلة على عاد لما استكبروا في الأرض، بالصرصر وهي الشديدة البرد، وقيل الشديدة بالصوت.

٢- ووصفها سبحانه أيضاً بأنها عاتية، فقيل: عتت على الخزان فلم يستطيعوا السيطرة عليها، وقيل عتت على عاد وزادت عن الحد.

المطلب الثالث: في الحديث عن الريح المرسلة على قوم عاد في أيام نحسات

قد نوع الله العذاب للمشركين من عباده فمنه العذاب الأخروي في نار جهنم، ومنه العذاب الدنيوي، وذلك بتسليط الريح الصرصر عليهم فتهلكهم.

أهلك الله قوم عاد بالريح الصر صر العاتية، كما مر في المطلب السابق، وفي هذا المطلب سيكون الحديث عن الريح المرسلة عليهم في أيام نحسات.

قال تعالي: (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآَخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ) (فصلت: ١٦).

يذكر تعالي هنا عذابه الذي عذب به قوم عاد فقال: (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا)، المراد بالصرصر: الباردة قال بذلك ابن عباس وقتادة، وقال مجاهد: شديدة الشؤم عليهم، وقال أبو عبيدة والمبرد: الشديدة الصوت، وقال الزجاج: الشديدة البرد، وقال الفراء: الباردة تحرق كما تحرق النار(٢١٠).

وقوله: (فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ) قال ابن عباس: كانوا يتشاءمون بتلك الأيام، وقال قتادة: النحسات: النكرات المشؤمات، وقال الليث: النحس خلاف السعد والجميع النحوس من النجوم وغيرها، تقول: هذا يوم نحس(٢١١).

فأبادهم الله عن آخرهم، واتصل بهم خزي الدنيا بعذاب الآخرة قال تعالي: (لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآَخِرَةِ أَخْزَى) أي: أشد خزياً لهم (وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ) أي: في الأخرى كما لم ينصروا في الدنيا(٢١٢).

ووصف الأيام بالنحسات: لأنها أيام سواء شديد وهو عذاب الريح الذي أصابهم، فأماتهم وأمات أنعامهم واقتلع نخيلهم، وهي ثمانية أيام كما قال سبحانه (سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا) فتلك الأيام كانت بخصوصها نحساً عليهم وحدهم دون غيرهم من أهل الأرض، لأنهم هم المقصودين بالعذاب، وليس المراد أن تلك الأيام من كل عام هي أيام نحس على البشر، لأن الأمم كلها لم يصبها سوء في تلك الأيام.

والخزي: الذل، وإضافة (عَذَابٍ) إلى (الْخِزْيُ) من إضافة الموصوف إلى الصفة بدليل مقابلته بقوله: (وَلَعَذَابُ الْآَخِرَةِ أَخْزَى) أي أشد إخزاء من إخزاء عذاب الدنيا، وذلك باعتبار أن الخزي وصف للعذاب من باب الوصف بالمصدر أو اسم المصدر للمبالغة في كون ذلك العذاب مخزياً للذي يعذب به، وقد حصل في قوله: (عَذَابَ الْخِزْيِ) مبالغتان: مبالغة الوصف بالمصدر، ومبالغة إضافة الموصوف إلى الصفة(٢١٣).

ما يستنبط من الآية:

١- وصف الله سبحانه الريح التي أرسلها على عاد، بأنها صرصر، وأنها استمرت عليهم في أيام نحسات، أي شديدة الشؤم عليهم.

٢- ثم عقب ذلك سبحانه بذكر العلة والسبب، وهو تعذيبهم بها في الحياة الدنيا وإذاقتهم الخزي فيها.

٣- ثم توعدهم سبحانه بالعذاب الأخروي، وهو الأشد والأخزى، وأنه لا ناصر لهم.

المطلب الرابع: في الحديث عن الريح المرسلة على قوم عاد الموصوفة بالاستمرار

من أنواع الريح المهلكة لأعداء الله، الريح الصرصر التي تستمر بهم إلى نار جهنم.

قال تعالي: (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ) (القمر: ١٩).

سبق الحديث عن الريح الصر صر في المباحث السابقة، وفي هذا المبحث سيكون الحديث عن استمرار تلك الريح عليهم.

ورد في معني المستمر قولان:

أحدهما: ذاهب، وهو قول أنس، ومجاهد، ومقاتل، والكلبي، وقتادة، واختيار الفراء والزجاج، وأصله من قوله: مر الشيء على وجهه واستمر، أي: ذهب(٢١٤).

والقول الثاني: أن معني المستمر: القوي الشديد، وهو قول أبي العالية، والضحاك، ورواية شيبان عن قتادة، قالوا: محكم شديد غالب قوي، واختاره أبو عبيدة، والمبرد، وابن قتيبة، فقال أبو عبيدة: (مُسْتَمِرٍّ) شديد.

وقال المبرد: هو من قولك: دو مرة أي: قوة، ومنه أمررت الحبل إذا شددت فتله، واستمر فلان على كذا إذا قوى واستحكم معرفته، قال الربيع بن أنس، ويمان بن رباب: نافذ ماض يعود إلى هذا، لأن نفوذه ومضاءه من قوته(٢١٥).

قال ابن عباس: كانوا يتشاءمون بذلك اليوم(٢١٦).

وقال الزجاج: قيل: هو يوم أربعاء في آخر الشهر لا يدور(٢١٧).

وقال الفراء: أستمر عليهم بنحو ستة[٢١٨].

قال ابن كثير: ومن قال إن اليوم النحس المستمر هو يوم الأربعاء وتشاءم به لهذا الفهم فقد أخطأ وخالف القرآن، فإنه قال في الآية الأخرى (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ) ومعلوم أنها ثمانية أيام متتابعات فلو كانت نحسات في أنفسها لكانت جميع الأيام السبعة المندرجة فيها مشئومة وهذا لا يقوله أحد، وإنما المراد في أيام نحسات أي عليهم[٢١٩].

ما يستنبط من الآية:

١- وصف الله سبحانه في هذه الآية الريح المرسلة على عاد بأنها صرصر، أي شديدة البرد أو الصوت.

٢- ثم وصفها بأنها مستمرة عليهم، حتى تهلكهم عن آخرهم.

المبحث الخامس

في الحديث عن الريح المسببة للضرر بالنبات

إذا أراد الله إدخال الضرر أو النقص على الزروع أو الثمار، وذلك لا ابتلاء العباد، أرسل عليها الريح التي تجففها أو تحرقها.

قال تعالي: (وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ) (الروم: ٥١).

هذه الريح هي تجفف النبات وتيبسه قبل حلول وقت استوائه، وهي نوع من المصائب التي يبتلي الله بها عباده.

قوله: (فَرَأَوْهُ): يعني النبات، وقيل: للأثر وهو حوة[٢٢٠]. النبات الذي أحييت به الأرض، وقيل: هو للسحاب.

وقيل: هو للريح، وهذا كله ضعيف[٢٢١].

قال القرطبي: (واصفرار الزرع بعد اخضراره يدل على يبسه) [٢٢٢].

والمصفر: اسم فاعل مقتض الوصف بمعناه في الحال، أي: فرأوه يصير أصفر، فالتعبير بـ (مُصْفَرًّا) لتصوير حدثان الاصفرار عليه دون أن يقال: فرأوه أصفر.

وظل: بمعني صار، والإتيان بفعل التصيير مع الإخبار عنه بالمضارع لتصوير مبادرتهم إلى الكفر ثم استمرارهم عليه[٢٢٣].

قوله: (لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ) اللام لام القسم.

وقوله: ظلوا: فعل ماض نزله منزلة المستقبل، واستنابه منابه، لأن الجزاء هنا لا يكون إلا بفعل مستقبل لكن يستعمل الماضي بدل المستقبل في بعض المواضع توثيقاً لوقوعه[٢٢٤].

فقال الخليل معناها: ليظلن، فأوقع الماضي موقع المستقبل [٢٢٥]

يخبر تعالى في هذه الآية عن حالة الخلق، وأنهم مع هذه النعم عليهم بإحياء الأرض بعد موتها، ونشر رحمة الله تعالى، لو أرسلنا على هذا النبات الناشئ عن المطر، وعلى زروعهم، ريحاً مضرة متلفة أو منقصة، (فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا) قد تداعي إلى التلف (لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ) فينسون النعم الماضية، ويبادرون إلى الكفر[٢٢٦].

ما يستنبط من الآية:

١- يذكر الله في هذه الآية حال بعض ضعفاء الإيمان، من الكفر بنعمة الله، وذلك حين تصاب مزارعهم بالتلف بسبب ما اكتسبوا من المعاصي.

٢- يخبر تعالى بقدرته الباهرة على إرسال الريح الشديدة على الزروع والخضروات، فتجففها وتدعها مصفرة هالكة قبل أوان استوائها.

٣– ابتلاء الله سبحانه عبادة بالسراء حيناً وبالضراء أخرى، ليظهر شكرهم في الأولي وصبرهم في الأخرى.

المبحث السادس

في الحديث عن الريح الهازمة للمشركين

الريح إما أن تأتي بالنصر والتأييد، وإما أن تأتي بالانكسار والهزيمة، وقد هزم الله سبحانه الأحزاب الذين تحزبوا على المدينة التي اقتلعت خيامهم وقوضت بنيانهم.

قال تعالي: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) (الأحزاب: ٩).

يذكر الله تعالى في هذه الآية نعمته على عباده يوم الأحزاب، وذلك حين قدم أبو سفيان ومن معه من المشركين واليهود من قريظة والنضير، وتحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يوم الخندق، فبعث الله عليهم بالليل ريحاً باردة، وبعث الملائكة، فقلعت الريح الأوتاد وأطفأت النيران، وجالت الخيل بعضها في بعض، وكبرت الملائكة في جانب عسكرهم، فانهزم المشركون من غير قتال، فأنزل الله هذه الآية يذكرهم إنعامه عليهم في الرفع عنهم، وذلك قوله: (اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ) قال مجاهد وغيره: هم الأحزاب، عيينة بن بدر، وأبو سفيان، وقريظة.

(فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا) قال مجاهد: هي الصبا[٢٢٧]، أرسلت على الأحزاب يوم الخندق، حتى أكفأت قدورهم ونزعت فساطيطهم حتى أضعنتهم[٢٢٨].

(وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا) قال: الملائكة[٢٢٩].

ما يستنبط من الآية:

١- أن الريح من جنود الله المهلكة، والهازمة لأعداء الله، فقد هزم سبحانه الأحزاب بجند من الريح، فجعلت تقوض خيامهم، ولا تدع لهم قدراً إلا كفأتها، ولا طنباً إلا قلعته، ولا يقر لهم قرار، وجند من الملائكة يزلزلونهم، ويلقون في قلوبهم الرعب والخوف، حتى عادوا خائبين ولم يتحقق لهم ما أرادوا.

٢- تذكير الله عباده بالنعم المسبغة عليهم، ليتجدد منهم الشكر.

٣- تعظيم قوة الكفار حيث وصف الله حالهم بالجمع المنكر، فهم أعداد كثيرة من اليهود والمشركين.

٤- أن الله يدافع عن عباده المؤمنين، فقد أرسل سبحانه الريح، والجنود من الملائكة على الأحزاب فهزمتهم شر هزيمة، ولم يكلف الله سبحانه المسلمين في قتالهم.

٥- إحاطة الله سبحانه بأعمال عباده سرها وجهرها، ليثيب المحسن ويعاقب المسيء.

الفصل الثاني

في عواقب الريح التي ودرت بألفاظ أخرى غير الصريح

المبحث الأول

في الحديث عن ريح الإعصار

الإعصار: نوع من الريح التي تدمر المنشآت وتحرق النبات، وهي ريح شديدة تقلع الشجر والنبات، فيها نار أي شدة حرارة، وهي المسماة بريح السموم، فإطلاق لفظ نار على شدة الحر تشبيه بليغ(٢٣٠).

قال تعالى: (أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآَيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) (البقرة: ٢٦٦).

قال أهل اللغة: الإعصار: ريح ترتفع وتستدير نحو السماء كأنها عمود، وهي التي تسمي: الزوبعة، وفي المثل: إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصاراً، يضرب مثلاً للرجل يلقي قرنه في النجدة والبسالة(٢٣١).

قال ابن عباس: هو مثل الذي يختم عمله بفساد، وكان يعمل عملاً صالحاً، فهو مثل للجنة المذكورة في الآية، ثم يبعث الله له الشيطان فيسيء في آخر عمره، ويتمادي في الإساءة حتى يموت على ذلك، فيكون الإعصار مثلاً لإساءته التي مات عليها(٢٣٢).

في هذه الآية ضرب الله مثلاً لعمل المنافق والمرائي، بمثل الجنة التي فيها من كل الثمرات، فأصاب صاحبها الكبر فضعف عن العمل، وله أطفال لا يعينونه ولا ينفعونه، فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت، ففقدها أحوج ما كان إليها، عند كبر سنه، وضعف حيلته، وكثرة ذريته، فضعف عن القيام عليها لكبره، ولم يستطع أولاده إصلاحها لصغرهم، ولم يجد ما ينفقه على أولاده، ولا أولاده يستطيعون القيام بمئونة أبيهم، فبقي هو وأولاده فقراء عاجزين، لا يقدرون على حيلة، فكذلك يبطل عمل المنافق والمرائي، في وقت لا توبة فيه ولا إقالة لهما من ذنوبهما(٢٣٣).

قوله: (كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآَيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) أي: تعتبرون، وتفهمون الأمثال والمعاني، وتنزلونها على المراد منها(٢٣٤).

ما يستنبط من الآية:

١- يضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتفكرون، فيدركون ويميزون بين الباقي والفاني.

٢- أن عمل المنافق والمرائي يذهب سدي فلا يكون له عليه أجر وثواب، لأنه لم يرد بذلك وجه الله.

٣- وصف الله الجنة بأن فيها من كل الثمرات، وخص من ذلك النخيل والأعناب، لعظم منفعتهما، وسهولة الكلفة بتناولهما، فلا يحتاجان إلى طهي ولا تجهيز، مع صلاحهما طازجة ومجففة.

٤- وصف الله صاحب الجنة بالكبر وذريته بالضعف كناية عن عدم قدرة كل منهما على القيام على تلك الجنة بما يجب لها من العناية والخدمة.

٥- سلط الله على تلك الجنة ريح الإعصار، وهي التي تسمي الزوبعة، وهي التي تدور وترتفع في السماء، وذلك لتتمكن من قلع النخيل واجتثاث الأعناب والأشجار وإحراقها.

٦- وفي ختام الآية يذكر سبحانه عباده بالآيات والعبر التي يجريها في هذا الكون لعلهم يتفكرون في ما يدور حولهم من العبر، فتكون لهم العظة بها.

المبحث الثاني

في الحديث عن الريح الحاصب

قال ابن فارس: (الحاء والصاد والباء أصل واحد، وهو جنس من أجزاء الأرض، ثم يشتق منه، وهو الحصباء، وذلك جنس من الحصى، ويقال: حصبت الرجل بالحصباء. وريح حاصب، إذا أتت بالغبار. ومن الباب الإحصاب: أن يثير الإنسان الحصى في عدوة. والحاصب: هي الريح الشديدة[٢٣٥].

معني (حَاصِبًا): عذاباً يحصبهم، أي يرميهم بحجارة، ويقال للريح التي تحمل التراب والحصباء: حاصب، وللسحاب يرمي بالثلج والبرد حاصب، لأنه يرمي بهما رمياً[٢٣٦].

وقد ورد في كتاب الله أربع آيات كلها ورد فيها ذكر الحاصب.

١– قال تعالى: (أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا) (الإسراء: ٦٨).

٢– قال تعالى: (فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) (العنكبوت: ٤٠).

٣– قال تعالى: (كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (٣٣) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا ءَآلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ) (القمر: ٣٣ – ٣٤).

٤– قال تعالى: (أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ) (الملك: ١٧).

هذه الآيات كلها تتحدث عن عذاب من الله، أرسله على قوم من عباده المكذبين، وهو الحاصب.

ورد في معني الحاصب ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الحاصب: حجارة من السماء.

الثاني: أن الريح العاصف التي تحصب.

الثالث: أن الحاصب: التراب الذي فيه حصباء[٢٣٧].

قوله: (أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ) الخسف كما قال الليث: سؤوخ الأرض بما عليها، يقال: خسف الله به الأرض، أي غيبه فيها، ومعنى الخسف والخسوف: الدخول في الشيء، يقال: عين خاسفة: وهي التي قد غابت حدقتها في الرأس، وعين من الماء خاسفة أي: غائرة الماء، والشمس تسخف خسوفا، وهو دخلوها في السماء كأنها تكون في جحر[٢٣٨].

وقوله: (يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ) أي: يغيبكم ويذهبكم في جانب البر، وهو الأرض، وقال هنا جانب؛ لأنه ذكر البحر في الآية الأولي فهو جانب، والبر جانب، فهو سبحانه قادر على أن يغيبهم في الأرض، كما أنه قادر على تغييبهم في الماء.

قوله: (أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا) أي: يمطر عليكم حجارة من السماء كما أمطر على قوم لوط(٢٣٩).

ما يستنبط من الآيات:

١- في هذه الآية ينكر سبحانه على عباده أمنهم من أن يخسف بهم جانب البر بعد أن أخرجهم سالمين من الغرق في البحر.

٢- ثم ثنى بقدرته سبحانه على إرسال حاصب يهلكهم فلا يكن لهم منقذ من دونه ولا نصير.

٣- وفي الآية الثانية ينكر عليهم أمنهم من أن يرسل عليهم حاصباً، وذلك جزاء لتكذيبهم بالنذر.

٤- وفي نهاية الآية يقرر سبحانه عاقبة التصديق الحميدة، ومغبة التكذيب الوخيمة.

٥- وفي الآية الثالثة يعدد سبحانه عقوبات الأمم المكذبة لرسلهم، وأن العقوبة تكون على حسب نوعية الذنب.

٦- فمنهم من أرسل الله عليهم حاصباً، وهم قوم لوط.

٧- ومنهم من أخذته الصيحة، وهم ثمود وأهل مدين.

٨- ومنهم من خسف الله بهم الأرض، وهم قارون وأتباعه.

٩- ومنهم من أغرقهم، وهم، قوم نوح وقوم فرعون.

١٠- وفي نهاية الآية يقرر سبحانه عدم ظلمه لأحد من خلقه، ولكن الناس أنفسهم يظلمون بترك الأوامر، وارتكاب النواهي.

١١- وفي الآية الرابعة يذكر سبحانه تكذيب قوم لوط بالنذر، الذين خوفوهم عقاب الله سبحانه.

١٢– ثم صرح سبحانه بإهلاكهم بالحاصب الذي أرسله عليهم جزاء تكذيبهم لرسله.

١٣– وأخبر سبحانه في آخر الآية بنجاة نبيه لوط ومن استجاب لدعوته، فقد نجاهم بسحر.

ملخص لأنواع الرياح الضارة والمهلكة، التي مرت في هذا الباب:

هذا بيان لمجمل ما ورد في هذا الباب من أنواع الرياح الضارة والمهلكة:

١– منها الريح المهلكة للحرث والزرع.

٢– الريح العاصف، التي تعصف بالسفن.

٣– الريح القاصف، التي تكسر الفلك.

٤– الريح الهاوية بالمشركين.

٥– الريح المعذبة للمشركين.

٦– الريح العقيم المرسلة على عاد، وكذا الريح الصرصر.

٧– الريح الهازمة للمشركين.

٨– ريح الإعصار المهلكة للثمار.

٩– الريح الحاصب، وهي التي ترمي بالحصباء.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين وبعد.

في نهاية هذا البحث أسجل أهم النتائج التي توصلت إليها.

أولا: أهمية الرياح بالنسبة للمطر، فالرياح هي التي تثير السحاب، وتلقحه، وتزجيه، وتحمله، وتبشر به، وتنشره.

ثانياً: بالنسبة للفلك، هي التي تسوقها في البحر إلى مقاصدها، ولولا الرياح بعد توفيق الله عز وجل، لتعطلت مصالح الناس في الأسفار والتجارات.

ثالثاً: الرياح هي التي تلقح الزروع والثمار، والأشجار، وتذري بها الحبوب، وتجفف بها النباتات، وتذهب بالأبخرة الضارة والدخان.

رابعاً: تسخير الله الريح لنبيه سليمان، لما تقرب إلى الله بالخيل التي شغلته عن الصلاة، فعوضه الله ما هو أسرع منها وأقل كلفه وتبعة.

خامساً: نقلها لرائحة قميص يوسف لأبيه يعقوب – عليهما السلام – مع بعد المسافة بينهما.

سادساً: أنها جند من جند الله عز وجل، ينصر بها من شاء من عباده.

ورغم تلك الفوائد والمصالح التي تترتب على الرياح، فإن هناك أضراراً ومساوئ قد تحصل بسبب الريح، إما لشخص أو لأمة، بأسباب ذنوبهم ومعاصيهم وبعدهم عن منهج الله، وذلك عقوبة من الله عاجلة في الدنيا قبل الآخرة، ومن ذلك:

أولاً: ما أرسله الله على قوم عاد من الريح العقيم التي دمرتهم.

ثانياً: وقوم لوط أرسل الله عليهم حاصباً أهلكهم.

ثالثاً: ما ضربه الله من المثل، في الريح التي أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم.

رابعاً: وكذلك ما يحصل للسفن في البحار، من الرياح العاصفة التي تعيق سير السفن، وتهيج عليها الأمواج من كل مكان.

خامساً: ما توعد به سبحانه بعض العصاة، أنه سيرسل عليهم قاصفاً من الريح فيغرقهم به.

سادساً: ما أرسله الله على الأحزاب من الريح التي أكفأت قدورهم، وقوضت خيامهم، وأطفأت نيرانهم، فلما لم يستقر لهم قرار انسحبوا منهزمين.

سابعاً: وكذلك ما توعد به سبحانه بعض العصاة أنه سيرسل عليهم حاصباً.

وأخيراً تبين أن الرياح جند من جند الله عز وجل، يرسله جل وعلا للخير، أو للشر، وقد تبين من خلال هذه الصفحات، عموم نفع الرياح لعموم الخلق، في البر والبحر، وللبر والفاجر، والمؤمن والكافر.

أما الأضرار والعقوبات، فهي خاصة، وقليلة، مقارنة لها بالمصالح والفوائد.

هذا ما ورد ذكره في القرآن، من فوائد وعواقب، وهناك فوائد ومصالح عظيمة نتمتع بها في حياتنا اليومية، لم يرد لها ذكر في القرآن، وهي من أعظم فوائد الرياح: فهي التي تجدد لنا الهواء الذي نتنفسه، وتذهب بثاني أكسيد الكربون، والغبار، والدخان، والأصوات المزعجة، فكل هذه المصالح مسيرة لنا بواسطة الرياح بدون أي مجهود نبذله.

وفي الختام أحمد الله على ما يسر، وأسأله العفو عن ما حصل من خطأ أو زلل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الهوامش

(١) تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري مادة (راح) ٢١٦/٥، ومعجم مقاييس اللغة لأبن فارس مادة (روح) ٤٥٤/٢، واللسان لابن منظور مادة (روح) ٤٥٥/٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٩٩/٢، وبصائر ذوي التمييز للفيروز أبادي ١٠٧/٣.

(٣) آيات الله في الرياح والمطر والأعاصير والبراكين والزلازل د/ ماهر أحمد الصوفي ص٥٤، ٥٣، ٥١.

(٤) المفردات للراغب الأصفهاني كتاب الراء ص٢٠٧، المحرر الوجيز لأبن عطية ٢٨/١٢، بصائر ذوي التمييز ١٠٧/٣.

(٥) مسند أبي يعلي الموصلي ٣٤١/٤ وقال المحقق: حسين سليم أسد: إسناده ضعيف، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٣٥/١٠ وقال: رواه الطبراني وفيه حسين بن قيس الملقب بحنش، وهو متروك. وقد وثقه حصين بن نمير، وبقية رجاله رجال الصحيح. وذكره الحافظ ابن حجر في المطالب العالية ٢٣٨/٣ برقم ٣٣٧١ وعزاه إلى مسدد وإلى أبي يعلي.

(٦) تهذيب اللغة مادة (صرف) ١٦٢/١٢، والمفردات كتاب الصاد ص ٢٧٩، وبصائر ذوي التمييز ٤١٠/٣.

(٧) التفسير الكبير للرازي ٢٠٠/٤.

(٨) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٨٦/٢.

(٩) الجامع لأحكام القرآن ١٩٩/٢.

(١٠) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٥/٣، وينظر أسباب النزول للواحدي ص٤٣.

(١١) ينظر التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٨١/٢.

(١٢) ينظر المفردات للراغب الأصفهاني (صرف) ٢٨٠، واللسان لابن منظور (صرف) ١٨٩/٩.

(١٣) قال ابن فارس: (الميم والزاي والقاف أصل صحيح يدل على تخرق في شيء ومزقه يمزقه ومزقه يمزقه. والمزق: قطاع الثوب الممزوق. معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (مزق) ٣١٨/٥.

(١٤) ينظر جامع البيان ١٤/٣، والبحر المحيط لأبي حيان ٤٦٧/١، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ص٧٩.

(١٥) ينظر التفسير الكبير ٢٠٣/٤.

(١٦) ينظر جامع البيان ٧٤/٢١.

(١٧) ينظر الكشاف ٤٣٦/٣، وروح المعاني ١٤١/٢٥.

(١٨) آيات الله في الرياح والمطر والأعاصير والبراكين والزلازل ص٥٦، ٥٨.

(١٩) جامع البيان ٤٣/١٤، والأثر عن ابن مسعود أخرجه البيهقي أيضاً في السنن الكبرى ٣٦٤/٣، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٧٢/٥، والهيثمي في مجمع الزوائد ٤٥/٧، وقال: رواه الطبراني وفيه يحي الحماني وهو ضعيف.

(٢٠) ينظر جمهرة اللغة (حقل) ١٨١/٢، وتهذيب اللغة (لقح) ٥٥/٤.

(٢١) مجاز القرآن ٣٤٨/١، وينظر تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص٢٣٩.

(٢٢) أخرجه الطبري في جامع البيان ٤٥/١٤، وذكره البغوي في معالم التنزيل ٣٧٥/٤، والسيوطي في الدر ٧٣/٥.

(٢٣) الصبا: ريح تستقبل القبلة، وصبت تصبو على معني أنها تحن إلى البيت لاستقبالها إياه كتاب العين للخليل بن أحمد مادة (صبو) ١٦٩/٧.

(٢٤) قال ثعلب: الشمال من الرياح ما استقبلك عن يمينك إذا وقفت في القبلة، وقال ابن الأعرابي: مهب الشمال.

من بنات نعش إلى مسقط النسر الطائر، لسان العرب لابن منظور مادة (شمل) ٣٦٦/١١.

(٢٥) الجنوب من الرياح: حارة، وهي تهب في كل وقت، ومهبها ما بين مهبي الصبا والدبور، على صوب مطلع.

سهيل تهذيب اللغة مادة (جنب) ١١٩/١١.

(٢٦) الدبور: ريح من قبل القبلة دابرة نحو المشرق كتاب العين للخليل بن أحمد مادة (دبر) ٣٢/٨.

(٢٧) ينظر معالم التنزيل ٣٧٥/٤، والجامع لأحكام القرآن ١٦/١٠.

(٢٨) ينظر مفتاح دار السعادة بتصرف ٢١٦/١.

(٢٩) كتاب العين مادة (ذرو) ١٩٣/٨، وتهذيب اللغة مادة (ذرا) ٥/١٥.

(٣٠) ينظر جامع البيان ٢٧٢/١٥، ومعالم التنزيل ١٧٤/٥، والمحور الوجيز ٤٠٧/١٠.

(٣١) ينظر تهذيب اللغة (هشم) ٩٤/٦، ومعجم مقاييس اللغة (هشم) ٥٣/٦.

(٣٢) ينظر جامع البيان ٢٧٢/١٥، ومعالم التنزيل ١٧٤/٥، والجامع لأحكام القرآن ٤١٢/١٠.

(٣٣) مجاز القرآن ٤٠٥/١.

(٣٤) تفسير غريب القرآن ٢٦٨/١.

(٣٥) ينظر المحور الوجيز ٤٠٧/١٠، الجامع لأحكام القرآن ٤١٣/١٠، وتفسير القرآن العظيم ١٦٠/٥.

(٣٦) ينظر مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه، ص٨٠، والمحور الوجيز ٤٠٧/١٠، وزاد المسير ١٤٨/٥، والجامع لأحكام القرآن ٤١٣/١٠، والبحر المحيط ١٣٣/٦، والدر المصون ٥٠٢/٧.

(٣٧) ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٤٧٨.

(٣٨) تهذيب اللغة (بشر) ٣٥٩/١١، ومعجم مقاييس اللغة (بشر) ٢٥١/١.

(٣٩) المفردات كتاب الباء ص٤٨، وقد ذكر لنا كبار السن من الآباء والأجداد أنهم في القديم إذا هبت ريح الجنوب وكانت السماء ملبدة بالغيوم أيقنوا بنزول المطر، فأوقفوا السانية (وهي الدابة التي تخرج الماء

من البئر بواسطة الدلاء والغروب) وكذلك أدخلوا بقية الدواب التي في المرعى استعداداً لنزول المطر واستبشاراً بقدومه.

(٤٠) التحرير والتنوير ١١٨/٢١.

(٤١) ينظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٥٨٤.

(٤٢) ينظر جامع البيان ٥١٧/١٨.

(٤٣) التفسير الكبير ١٣١/٢٥.

(٤٤) التفسير الكبير ١٣١/٢٥.

(٤٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٦٤٤.

(٤٦) ينظر السبعة ص٢٨٣، والحجة للقراء السبعة ٣١/٤ – ٣٩.

(٤٧) ينظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢١٧/١، والحجة للقراء السبعة ٣٥/٤، وتهذيب اللغة (نشر) ٣٣٨/١١ – ٣٤٠، والمفردات كتاب النون ص٤٩٢.

(٤٨) ينظر جامع البيان ٢٥٢/١٠.

(٤٩) لما توصل العلم الحديث إلى طريقة لإنزال المطر برش السحب بمادة لكي ينزل المطر، عجز البشر عن تحديد الكمية، وتحديد المساحة المراد سقيها بذلك المطر، وضبط ميزان النزول بحيث يكون على قطرات خفيفة لا تضر، وبذلك تظهر قدرة الباري جل وعلا على تدبير هذا الكون بنظام دقيق يبهر العقول.

(٥٠) الحجة للفقراء السبعة ٣٤٤/٥.

(٥١) ينظر التحرير والتنوير ٤٧/١٩.

(٥٢) ينظر الحجة للقراء السبعة ٣١/٤ – ٣٢، والجامع لأحكام القرآن ٢٢٩/٧.

(٥٣) ينظر التفسير الكبير ٢١٠/٢٤، والتحرير والتنوير ١٧/٢٠.

(٥٤) التحرير والتنوير ١٢١/٢١.

(٥٥) آيات الله في الرياح والمطر والأعاصير والبراكين والزلازل ص٦٧.

(٥٦) ينظر الحجة للقراء السبعة ٥/٤٤٨، والمبسوط ص٢٩٤، وتحبير التيسير ص١٦١، وإعراب القرآن للنحاس ٣/٢٧٦.

(٥٧) ينظر معاني القرآن ٢/١٣١، وتهذيب اللغة (كسف)١٠/٧٥، واللسان (كسف) ٩/٢٩٩.

(٥٨) معاني القرآن وإعرابه ٣/٢٥٩.

(٥٩) ينظر المحرر الوجيز ١٢/٢٦٨، والجامع لأحكام القرآن ١٤/٤٤.

(٦٠) ينظر جامع البيان ١٨/٥٢٠، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٦٤٤.

(٦١) ينظر التحرير والتنوير ٢١/١٢٠.

(٦٢) الكشاف ٣/٢٦٩، وذكر نحوه في فتح القدير ٤/٣٤٠.

(٦٣) ينظر المحرر الوجيز ١٣/١٥٨، وتفسير القرآن العظيم ٦/٣٠٠، وفتح القدير ٤/٣٤٠.

(٦٤) ينظر الجامع لأحكام القرآن ١٤/٣٢٧، والبحر المحيط ٧/٣٠٢.

(٦٥) مجاز القرآن ٢/١٤٤.

(٦٦) روح المعاني للألوسي ٢٢/١٧٢.

(٦٧) النهاية في غريب الحديث والأثر (نشر) ٥/٥٤.

(٦٨) معجم مقاييس اللغة (سير) ٣/١٢٠.

(٦٩) المفردات للراغب (سار) ص٢٤٧.

(٧٠) ينظر المحرر الوجيز ٩/٢٧، والجامع لأحكام القرآن ٢/١٩٩، وبدائع الفوائد لابن القيم ١/١١٨.

(٧١) السبعة ص٣٢٥، والتبصرة في القراءات السبع ص٥٣٤.

(٧٢) التحرير والتنوير ١١/١٣٥.

(٧٣) ينظر مفردات الراغب (سكن) ص٢٣٦، والتحرير والتنوير ٢٥/١٠٦.

(٧٤) ينظر المفردات (ركد) ص٢٠٢، والتحرير والتنوير ١٠٦/٢٥.

(٧٥) ينظر المحرر الوجيز ٢٢٦/١٤، والجامع لأحكام القرآن ٣٢/١٦، وتفسير القرآن العظيم ٥٥٦/٦.

(٧٦) التفسير الكبير ١٧٥/٢٧.

(٧٧) جمهرة اللغة لاين دريد (بص) ٢٠٧/٣.

(٧٨) فتح الباري ٥٢١/٢.

(٧٩) ينظر جامع البيان ٢١٥/١١، ومعالم التنزيل ٣٦٤/٣، وزاد المسير ٣٦٥/٣، ومجاز القرآن ٢٤٧/١، ومعاني القرآن وإعرابه ٤٢٥/٢، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٩٠/١.

(٨٠) صحيح البخاري كتاب الاستسقاء باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (نصرت بالصبا) ٢٢/٢ح ١٠٣٥، وأخرجه مسلم في كتاب صلاة الاستسقاء باب في ريح الصبا والدبور ٦١٧/١ج ٩٠٠.

(٨١) سنن أبي داود كتاب الجهاد باب في أي وقت يستحب اللقاء ١١٣/٣ح ٢٦٥٥، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٥٠٤/٢ح ٢٦٥٥. وسنن الترمذي كتاب السير باب ما جاء في الساعة التي يستحب فيها اللقاء ١٥٨/٤ح ١٦١٢، وأخرجه الحاكم في المستدرك وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأشار الذهبي إلى أنه على شرط مسلم ١١٦/٢.

(٨٢) ينظر جامع البيان ٢١٤/١١، ومعالم التنزيل ٣٦٤/٣، وزاد المسير ٣٦٥/٣.

(٨٣) ينظر التحرير والتنوير ٣١/١٠.

(٨٤) ينظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢١٥/٤.

(٨٥) المفردات للراغب كتاب السين (سخر) ص٢٢٧.

(٨٦) تهذيب اللغة (سخر) ١٦٨/٧.

(٨٧) تهذيب اللغة (عصف) ٤٢/٢.

(٨٨) معالم التنزيل ٣٣٥/٥.

(٨٩) ينظر إملاء ما من به الرحمن ١٣٥/٢، وإعراب القرآن للنحاس ٧٦/٣، والدر المصون ١٨٩/٨، والنشر ٢٢٣/٢، والبحر المحيط ٣٣٢/٦.

(٩٠) جامع البيان ٣٣٢/١٦، وتهذيب اللغة (عصف) ٤١/٢.

(٩١) ينظر الكشاف ١٨/٣، والمحرر الوجيز ١٥٥/١١.

(٩٢) الكشاف ١٨/٣.

(٩٣) التحرير والتنوير ٢٦٥/٢٣.

(٩٤) ينظر معاني القرآن للفراء ٢٠٩/٢، والبحر المحيط ٣٣٣/٦.

(٩٥) معجم مقاييس اللغة (غدو) ٤١٥/٤.

(٩٦) بصائر ذوي التمييز ١٢٢/٤.

(٩٧) الصحاح (غدا) ٢٤٤٤/٦، وفتح الباري ٩٥/١.

(٩٨) اصطخر: بلدة بفارس، من الإقليم الثالث، طولها تسع وسبعون درجة وعرضها اثنان وثلاثون درجة، وهي من أعيان حصون فارس، قال الإصطخري: هي مدينة وسطة وسعتها مقدار ميل، وهي من أقدم مدن فارس وأشهرها، وفي بعض الأخبار أن سليمان بن داود – عليه السلام –كان يسير من طبرية إليها من غدوة إلى عشية، وبها مسجد يعرف بمسجد سليمان. وبها كانت خزائن الملوك قبل الإسلام وينسب إليها جماعة من أهل العلم، وقد فتحها المسلمون بقيادة عثمان بن أبي العاص في عهد عمر بن الخطاب سنة ثلاث وعشرون من الهجرة، وهي الآن البلدة خربة تقع في جنوب شرق دولة إيران، ينظر معجم البلدان ٢١١/١، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢٠/٣.

(٩٩) كابل: من ثغور طخارستان، فتحها المسلمون أيام بني مروان، وهي عاصمة أفغانستان اليوم، معجم البلدان ٤٢٦/٤.

(١٠٠) أخرجه الطبري عن الحسن جامع البيان ٢٢٨/١٩، وأنظر تفسير الحسن ٢١٧/٢، والمحرر الوجيز ١١٤/١٣، والجامع لأحكام القرآن ٢٦٩/١٤، والبحر المحيط ٢٦٤/٧.

(١٠١) جامع البيان ٢٢٧/١٩، وزاد المسير ٤٣٨/٦، والجامع لأحكام القرآن ٢٦٩/١٤، والبحر المحيط ٢٦٤/٧.

(١٠٢) ينظر التحرير والتنوير ١٥٨/٢١.

(١٠٣) المفردات (سخر) ص٢٢٧.

(١٠٤) ينظر التحرير والتنوير ٢٦٤/٢٢.

(١٠٥) ينظر تهذيب اللغة (رخو) ٥٤١/٧، ومعجم مقاييس اللغة (رخو) ٥٠١/٢.

(١٠٦) ينظر جامع البيان ٩٥/٢٠ وتفسير الحسن ٢٥٤/٢، وتفسير مجاهد ص٥٧٥، ومعاني القرآن للفراء ٤٠٥/٢، ومعاني القرآن للنحاس ١١٥/٦، وتفسير القرآن العظيم ٥٣١/٤، والدر المنثور ١٨٩/٧.

(١٠٧) تفسير سفيان الثوري ص١٤٧، وجامع البيان ٣٣٣/١٣، والحلية لأبي نعيم ٩٣/٥، وتفسير القرآن العظيم ٥٣١/٤، وصحح إسناده د/حكمت ياسين في تحقيق تفسير ابن كثير.

(١٠٨) التفسير الكبير ٢٠٧/١٨، وتفسير القرآن العظيم ٥٣١/٤.

(١٠٩) التحرير والتنوير ٥٢/١٣.

(١١٠) جامع البيان ٣٣٥/١٣، وتفسير الحسن البصري ٤٥/٢، والمفردات للراغب (فند) ص٣٨٦، وتفسير القرآن العظيم ٥٣١/٤، وسندهما صحيح كما ذكر ذلك د/حكمت بشير ياسين في تحقيقه لتفسير ابن كثير.

(١١١) التفسير الكبير ٢٠٧/١٨.

(١١٢) تهذيب اللغة (ذرا) ٥/١٥.

(١١٣) تهذيب اللغة (حمل) ٩٤/٥، (وقر) ٢٨٠/٩، والمفردات (حمل) ص١٣٢.

(١١٤) المفردات (جري) ص٩٢، ومعالم التنزيل ٣٧١/٧.

(١١٥) أخرجه مجاهد في تفسيره ص٦١٧، وابن عيينة في تفسيره ص٣٢٥، وذكره البخاري في صحيحة عن علي تفسير سورة الذاريات ٤٨/٦، وصححه الحافظ ابن حجر في تغليق التعليق على صحيح البخاري ٣١٨/٤، وأخرجه الطبري في جامع البيان عن علي بن ابي طالب من عشرة أوجه خمس منها من طريق سفيان بن عيينة ٤٧٩/٢١، وأخرجه الحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي، كتاب التفسير سورة الذاريات ٤٦٦/٢، وذكره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٢٦/٧، وذكر الهيثمي رواية عمر وقال: رواه البزار، وفيه أبو بكر بن أبي سبرة وهو متروك، مجمع الزوائد ١١٢/٧، وقال ابن حجر بعد أن ذكر طرق هذا الحديث عن علي: وله شاهد مرفوع أخرجه البزار وابن مردويه بسند لين عن عمر، فتح الباري ٥٩٩/٨، وذكر ابن كثير رواية عمر عند البزار وضعف إسنادها د. حكمت ياسين تفسير ابن كثير ٢٧/٧، وذكر السيوطي في الدر المنثور تلك الروايات ٦١٣/٧، وذكرها الشوكاني في فتح القدير ٨٦/٥.

(١١٦) ينظر الكشاف ٢٦/٤.

(١١٧) ينظر التفسير الكبير ١٩٥/٢٨، وآيات الله في الرياح والمطر والأعاصير والبراكين والزلازل ص٧٩.

(١١٨) ينظر التحرير والتنوير ٣٣٧/٢٦.

(١١٩) كذا قال ابن عطية قال: وقال آخرون هي الجواري من الكواكب، المحور الوجيز ١٩٨/١٥، وكذا قال السعدي: هي النجوم التي تجري على وجه اليسر والسهولة، فتتزين بها السماوات، ويهتدي بها ظلمات البر والبحر، وينتفع بالاعتبار بها، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٧٠٧.

(١٢٠) معالم التنزيل ٣٧١/٧، وتفسير القرآن العظيم لابن عثيمين من الحجرات إلى الحديد ص١١٦.

(١٢١) ينظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٢٠/١٣.

(١٢٢) ينظر التبيان في أقسام القرآن ص٢٧٩، والبسيط ٤٢٧/٢٠.

(١٢٣) سنن الترمذي كتاب التفسير باب ٩٦ ٥/٤٥٤ج ٣٣٦٩،وضعفه الألباني في مشكاة المصابيح، وقال: علته أن فيه سليمان بن أبي سليمان، قال الذهبي: لا يكاد يعرف ٦٠٠/١ح ١٩٢٣، وفي ضعيف الجامع الصغير ٣٣/٥ح ٤٧٧٣، وضعيف سنن الترمذي ص٤٤٠ ح٦٦٨ وأخرجه الإمام أحمد في المسند عن أنس ٢٧٦/١٩ وإسناده ضعيف لضعف سليمان بن أبي سليمان، وأخرجه أبو يعلي في مسنده وسنده ضعيف لضعف سليمان بن أبي سليمان ٢٨٦/٧.

(١٢٤) معجم مقاييس اللغة (رسل) ٣٩٢/٢.

(١٢٥) تفسير مجاهد ص٦٩١، وجامع البيان ٥٨٠/٢٣، ومعالم التنزيل ٣٠٣/٨، والمحرر الوجيز ١٩٦/١٦، وزاد المسير ٤٤٤/٨، والجامع لأحكام القرآن ١٥٤/١٩.

(١٢٦) معاني القرآن، وإعرابه للزجاج ٢٦٥/٥، والتبيان في أقسام القرآن ص١٤٣.

(١٢٧) ينظر معاني القرآن للفراء ٢٢١/٣، وجامع البيان ٥٨٢/٢٣، وبحر العلوم ٤٣٤/٣، ومعالم التنزيل ٣٠٣/٨، والمحرر الوجيز ١٩٦/١٦، وزاد المسير ٤٤٤/٨، وتفسير القرآن العظيم ٤٥٤/٧، وأخرج الحاكم بن أبي هريرة قال: (هي الملائكة أرسلت بالمعروف) وقال الحاكم حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي/٥١١، والتبيان في أقسام القرآن ص١٤٣.

(١٢٨) ينظر زاد المسير ٤٤٥/٨، والجامع لأحكام القرآن ١٥٤/١٩، والبحر المحيط ٤٠٣/٨.

(١٢٩) مجموع الفتاوى ٣٢٠/١٣.

(١٣٠) معاني القرآن وإعرابه ٢٦٥/٥، ومعاني القرآن ٢٢١/٣.

(١٣١) ينظر البسيط ٧٢/٢٣، والجامع لأحكام القرآن ١٥٤/١٩.

(١٣٢) القول بأنها الرياح قول غالب المفسرين ونسب ذلك إلى: علي بن أبي طالب، وابن مسعود، ومجاهد، وأبي صالح وقتادة، ينظر: تفسير مجاهد ص٦٩١، ومعاني القرآن للفراء ٢٢١/٣، وجامع البيان

٥٨٣/٢٣، ومعاني القرآن للزجاج ٢٦٥/٥، ومعالم التنزيل ٣٠٣/٨، وزاد المسير ٤٤٥/٨، وأخرجه الحاكم في المستدرك عن علي بن أبي طالب وصححه ووافقه الذهبي ٥١١/٢، وذكر ذلك ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٤٥٤/٧. وينظر القول بأنها الملائكة: زاد المسير ٤٤٥/٨، والجامع لأحكام القرآن ١٥٥/١٩، والتبيان في أقسام القرآن ص١٤٣.

(١٣٣) تفسير مجاهد ص٦٩١، ومعاني القرآن للفراء ٢٢٢/٣، وجامع البيان ٥٨٥/٢٣، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٦٥/٥، وتفسير كتاب الله العزيز للهواري ٤٥٤/٤، وبحر العلوم ٤٣٤/٣، وزاد المسير ١٥٤/٨، والجامع لأحكام القرآن ١٥٥/١٩، والبحر المحيط ٤٠٤/٨، والدر المنثور ٣٨١/٨.

(١٣٤) ينظر جامع البيان ٥٨٧/٢٣، ومعالم التنزيل ٣٠٣/٨، والجامع لأحكام القرآن ١٥٥/١٩، والتبيان في أقسام القرآن ص١٤٤، والحجة للقراء السبعة ٣١/٤.

(١٣٥) جامع البيان ٥٨٧/٢٣، والمحرر الوجيز ١٩٩/١٦، والجامع لأحكام القرآن ١٥٥/١٩.

(١٣٦) جامع البيان ٥٨٧/٢٣.

(١٣٧) معاني القرآن للفراء ٥٨٨/٢٣، وجامع البيان ٥٨٨/٢٣، وتفسير كتاب الله العزيز للهواري ٤٥٤/٤، معالم التنزيل ٣٠٣/٨، والمحرر الوجيز ١٩٩/١٦، وزاد المسير ٤٤٦/٨، والجامع لأحكام القرآن ١٥٥/١٩.

(١٣٨) الوسيط للواحدي ٤٠٧/٤، ومعالم التنزيل ٣٠٤/٨، وزاد المسير ١٤٦/٨، والجامع لأحكام القرآن ١٥٥/١٩، والبحر المحيط ٤٠٤/٨.

(١٣٩) جامع البيان ٥٨٨/٢٣، وتفسير الحسن البصري ٣٨٦/٢، ومعالم التنزيل ٣٠٤/٨، والمحرر الوجيز ١٩٩/١٦، وزاد المسير ١٤٦/٨، والجامع لأحكام القرآن ١٥٥/١٩، والبحر المحيط ٤٠٤/٨.

(١٤٠) جامع البيان ٥٨٨/٢٣.

(١٤١) التبيان في أقسام القرآن ص١٤٥، وينظر التسهيل لعلوم التنزيل ص٨١٧.

(١٤٢) روح المعاني ١٦٩/٢٩.

(١٤٣) معجم مقاييس اللغة (زجي) ٤٨/٣.

(١٤٤) المفردات كتاب الزاي ص٢١٢.

(١٤٥) تهذيب اللغة (زجا) ١٥٤/١١.

(١٤٦) ينظر الصحاح (زجا) ٢٣٦٦/٦، واللسان (زجا) ٣٥٤/١٤، وجامع البيان ١٢٢/١٥/٩، والمحرر الوجيز ٣٢٠/١٠، والجامع لأحكام القرآن ٢٩٠/١٠.

(١٤٧) الجامع لأحكام القرآن ٣٢٥/٨.

(١٤٨) ينظر التفسير الكبير ١٠/٢١، والتحرير والتنوير ١٥٨/١٥.

(١٤٩) معجم مقاييس اللغة (سحب) ١٤٢/٣.

(١٥٠) جمهرة اللغة لابن دريد (بحس) ٢٢١/١.

(١٥١) معجم مقاييس اللغة (ألف) ١٣١/١.

(١٥٢) تهذيب اللغة (ركم) ٢٤٢/١٠.

(١٥٣) ينظر آيات الله في الرياح والأعاصير والبراكين الزلازل ص٦٥.

(١٥٤) أورده ابن كثير في تفسيره وعزاه لابن أبي حاتم، وحسن إسناده د/ حكمة بشير ياسين في تحقيقه للتفسير ٥٥٧/٥.

(١٥٥) ينظر جامع البيان ٣٣٧/١٣، والمحور الوجيز ٣١٥/١١، ومعالم التنزيل ٥٣/٦، والجامع لأحكام القرآن ٢٨٧/١٢.

(١٥٦) تهذيب اللغة (عصر) ١٥/٢.

(١٥٧) معجم مقاييس اللغة (عصر) ٣٤٠/٤.

(١٥٨) تفسير مجاهد ص٦٩٤، وجامع البيان ١٢/٢٤، ومعالم التنزيل ٣١٢/٨، والجامع لأحكام القرآن ١٧٣/١٩، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٦٠/٧، وقال ابن كثير: وكذا قال عكرمة، ومجاهد، وقتادة، ومقاتل، والكلبي، وزيد بن أسلم، وابنه عبد الرحمن أنها: الرياح، ومعني هذا القول: أنها تستدر المطر من السحاب. وحسن المحقق د/حكمت ياسين إسناد رواية ابن عباس.

(١٥٩) المحرر الوجيز ٢٠٩/١٦، وذكر مثل ذلك أبو حيان في البحر المحيط ٤١١/٨، والقرطبي في الجامع ١٧٢/١٩، وينظر المحتسب لابن جني ٣٤٧/٢، قال: وهي قراءة شاذة لمخالفتها رسم المصحف، ينظر جامع البيان ١٢/٢٤، ومختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه ص١٦٧.

(١٦٠) الكشاف ١٧٧/٤.

(١٦١) جامع البيان ١٤/٢٤.

(١٦٢) وردت أقوالهم في جامع البيان ٧٠٣/٥، ومعالم التنزيل ٩٤/٢، وزاد المسير ٤٤٥/١، وتفسير القرآن العظيم ٤٠٧/٢ وحسن الدكتور حكمت ياسين أسانيد بعض تلك الروايات في تحقيقه لتفسير ابن كثير، وممن فسر (الصر) بالريح الباردة: أبو بعيدة في مجاز القرآن ١٠٢/١، والزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٤٦١/١، والنحاس في معاني القرآن ٤٦٤/١.

(١٦٣) ذكر ذلك الواحدي في البسط ٥٢٦/٥، والبغوي في معالم التنزيل ٩٤/٢، وابن الجوزي في زاد المسير ٤٤٥/١، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٤٠٧/٢.

(١٦٤) ينظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤٦١/١، والبسيط ٥٢٧/٥، وزاد المسير ٤٤٥/١، والتفسير الكبير ١٩٥/٨، والعبارة في زاد المسير، والتفسير الكبير بلفظ: (لتصويتها)

(١٦٥) أعلام الموقعين ١٨٦/١.

(١٦٦) تهذيب اللغة للأزهري مادة (صر) ١٠٦/١٢.

(١٦٧) ينظر جامع البيان ٥/٧٠٥، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١/١٠٢، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/٤٦١، ومعاني القرآن للنحاس ١/٤٦٤.

(١٦٨) ينظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/٤٦١، وأعلام الموقعين ١/١٨٧، وتفسير القرآن العظيم ٢/٤٠٧، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص١١٤.

(١٦٩) ينظر البسيط ٥/٥٢٦، وزاد المسير ١/١٤٥، والتفسير الكبير ٨/١٩٤، وأعلام الموقعين ١/١٨٦.

(١٧٠) معجم مقاييس اللغة (عصف) ٤/٣٢٨، وتهذيب اللغة (عصف) ٢/٤٢.

(١٧١) ينظر التحرير والتنوير ١١/١٣٦.

(١٧٢) قال ابن فارس: الظاء والنون أصيل صحيح يدل على معنيين مختلفين: يقين وشك. معجم مقاييس اللغة (ظن) ٣/٢٦٤، وينظر تهذيب اللغة (ظن) ١٤/٣٦٢.

(١٧٣) ينظر تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص٢٠٢، ومعاني القرآن للنحاس ٣/٢٨٥، وزاد المسير ٤/١٩، ومعالم التنزيل ٤/١٢٨، والجامع لأحكام القرآن ٨/٣٢٥.

(١٧٤) الدر المصون ٧/٨٣.

(١٧٥) ينظر المحور الوجيز ١٠/٧٤، وزاد المسير ٤/٣٥٤، والجامع لأحكام القرآن ٩/٣٥٣.

(١٧٦) ينظر أعلام الموقعين ١/١٧٠.

(١٧٧) بصائر ذوي التمييز ٤/٢٧٤.

(١٧٨) ينظر تهذيب اللغة (قصف) ٨/٣٧٤، والصحاح (قصف) ٤/١٤١٦، واللسان (قصف) ٩/٢٨٣، وبصائر ذوي التمييز ٤/٢٧٤.

(١٧٩) ينظر الصحاح (قصف) ٤/١٤١٦، واللسان (قصف) ٩/٢٨٣، وتفسير القرآن العظيم ٥/٩٦.

(١٨٠) ينظر جامع البيان ١٤/٦٧١، والمحرر الوجيز ١٠/٣٢٢، ومعالم التنزيل ٥/١٠٧، وتفسير القرآن العظيم ٥/٩٧.

(١٨١) ينظر السبعة ص٣٨٣، والمبسوط في القراءت العشر ص٢٢٩ والحجة للقراء السبعة ١١١/٥، والنشر في القراءات العشر ٣٠٨/٢.

(١٨٢) جمهرة اللغة (هـ أوي) ١٩٢/١، وتهذيب اللغة (هوى) ٤٨٨/٦، واللسان (هوا) ٣٧١/١٥.

(١٨٣) الطائح الهالك أو المشرف على الهلاك، وكل شيء ذهب وفني فقد طاح يطيح طيحاً وطوحاً لغتان، وطوحوا بفلان إذا حملوه على ركوب مفازة يخاف هلاكه فيها، يقال: طوح الرجل بثوبه إذا رمي به في مهلكه، وطيح به مثله، ينظر تهذيب اللغة (طاح) ١٨٥/٥.

(١٨٤) الكشاف ٣٢/٣، وذكر ابن القيم في أعلام الموقعين نحو كلام الزمخشري ١٨٠/١.

(١٨٥) ينظر المحرر الوجيز ١٩٨/١١، وتنوير المقباس ص٣٣٦، ومعاني القرآن وإعرابه ٤٢٥/٣، وتفسير القرآن العظيم ٤٠٩/٥.

(١٨٦) ينظر جمهرة اللغة (حنف) ١٧٨/٢، وتهذيب اللغة (حنف) ١٠٩/٥.

(١٨٧) ينظر جامع البيان ٥٣٨/١٦، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٣٠/٢، وتفسير القرآن العظيم ٤٠٩/٥، وأعلام الموقعين ١٨٠/١.

(١٨٨) معاني القرآن وإعرابه ٤٢٥/٣، وتهذيب اللغة (خطف) ٢٤١/٧.

(١٨٩) ينظر السبعة ص٤٣٦، والكشف عن وجوه القراءات السبع ١١٩/٢، وتحبير التيسير ص١٤٨.

(١٩٠) التحرير والتنوير ٢٥٥/١٧.

(١٩١) ينظر الكشاف ٤٤٨/٣، والمحرر الوجيز ٣٢/١٥، والبحر المحيط ٦٤/٨، والدر المصون ٦٧٣/٩.

(١٩٢) ينظر الصحاح (عرض) ١٠٨٥/٣، وتهذيب اللغة (عرض) ٤٦٨/١.

(١٩٣) ينظر جامع البيان ١٥٦/٢١، والمحرر الوجيز ٣٣/١٥، والجامع لأحكام القرآن ٢٠٥/١٦.

(١٩٤) قال الأصمعي: (المكفهر من السحاب: الذي يغلظ ويركب بعضه بعضاً) تهذيب اللغة (المكفهر) ٥٠٨/٦.

(١٩٥) جامع البيان ١٥٧/٢١، وهو في تفسير سفيان الثوري ص٢٧٧ح ٨٩٥، ومصنف أبن أبي شيبة ٥٥١/١١ح ١١٩٣٥

(١٩٦) التحرير والتنوير ٥٠/٢٦

(١٩٧) ينظر الوسيط ١١٣/٤، والجامع لأحكام القرآن ٢٠٦/١٦.

(١٩٨) ينظر تفسير مجاهد ص٦٢٠، وجامع البيان ٥٣٧/٢١، والبسيط ٤٥٥/٢٠، والمحرر الوجيز ٢١٨/١٥.

(١٩٩) جامع البيان ٥٣٨/٢١، والمحرر الوجيز ٢١٧/١٥، والجامع لأحكام القرآن ٥٠/١٧.

(٢٠٠) تنوير المقباس ص٥٢٢، والجامع لأحكام القرآن ٥٠/١٧، وهذا هو الثابت في الحديث الصحيح: (نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور) أخرجه البخاري في كتاب الاستسقاء باب: نصرت بالصبا ٢٢/٢ح ١٠٣٥، وأخرجه مسلم في كتاب الاستسقاء باب في ريح الصبا والدبور ٦١٧/١ح ٩٠٠.

(٢٠١) نسب أبن عطية هذا القول لعلي بن أبي طالب، وقال: وهذا عندي لا يصح المحرر الوجيز ٢١٨/١٥، ونسبه القرطبي في الجامع لابن عباس ٥٠/١٧، ونسبه السيوطي في الدر المنثور لعلي بن أبي طالب ٦٢٢/٧.

(٢٠٢) البسيط ٤٥٦/٢٠، وذكر ابن كثير أثرا عن عبد الله بن عمرو أنها من الأرض الثانية، وأن الله لما أراد إهلاك عاد أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحاً تهلكهم، فقال: يارب أرسل عليهم من الريح قدر منخر الثور، قال له الجبار تبارك وتعالي: لا إذا تكفأ الأرض وما عليها، ولكن أرسل عليهم بقدر خاتم. وفي سنده دراج وفيه مقال وضعفه الحافظ ابن كثير حيث قال: وهذا الحديث رفعه منكر، والأقرب أن يكون موقوفاً على عبد الله بن عمرو من زاملتيه التين أصابهما يوم اليرموك، والله أعلم. تفسير القرآن العظيم ٣٧/٧.

(٢٠٣) ينظر تهذيب اللغة (عقم) ٢٨٨/١، واللسان (عقم) ٤١٣/٩.

(٢٠٤) أعلام الموقعين ١٨٦/١.

(٢٠٥) ينظر جامع البيان ٢٠٩/٢٣، ومعاني القرآن وإعرابه ٢١٤/٥، والمحور الوجيز ٩٣/١٦، والجامع لأحكام القرآن ٢٥٩/١٨، والمفردات (صر) ص٢٧٩.

(٢٠٦) ينظر جامع البيان ٢١٠/٢٣، والمحور الوجيز ٩٣/١٦، والجامع لأحكام القرآن ٢٥٩/١٨.

(٢٠٧) أخرجه ابن جرير ٢١٠/٢٣، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٩٣/١٦، وأورده القرطبي في الجامع ٢٥٩/١٨، وابن حجر في الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ١٧٧/٤ح ٢١٤ ملحق بالكشاف للزمخشري، والبخاري بلظ (ويقال: طغت على الخزان كما طغي الماء على قوم نوح) كتاب التفسير باب سورة الحاقة ٧٢/٦، وقال ابن حجر: ولم يظهر لي فاعل طغت؛ لأن الآية في حق ثمود، وهم قد أهلكوا بالصيحة، ولو كانت عاداً لكان الفاعل الريح، وهي لها خزان، وأنها عتت على الخزان، وأما الصيحة فلا خزان لها، فلعله انتقال من عتت إلى طغت، فتح الباري ٦٦٥/٨، وذكره السيوطي في الدر المنثور منسوباً لعلي وابن عباس ٢٦٢/٨.

(٢٠٨) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٨٨٢، وذكر القولين ابن جزي الكلبي في التسهيل لعلوم التنزيل ص٧٨٧.

(٢٠٩) تهذيب اللغة (عتا) ١٤٣/٣.

(٢١٠) ينظر جامع البيان ٣٩٨/٢٠، وتنوير المقباس ص٤٧٨، وتفسير مجاهد ص٥٨٥، ومعالم التنزيل ١٧٤/٥، وزاد المسير ٢٤٧/٧، والجامع لأحكام القرآن ٣٤٧/١٥، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١٩٦/٢، والكامل للمبرد ٤٢/٤، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٨٢/٤، ومعاني القرآن للفراء ١٣/٣، وأعلام الموقعين ١٨٦/١.

(٢١١) ينظر تنوير المقباس ٤٧٨، وجامع البيان ٤٠٠/٢٠، والوسيط ٢٩/٤، والجامع لأحكام القرآن ٣٧٤/١٥، وكتاب العين (نحس) ١٤٤/٣، وتهذيب اللغة (نحس) ٣١٩/٤.

(٢١٢) ينظر تفسير القرآن العظيم ٥١٨/٦.

(٢١٣) ينظر التحرير والتنوير ٢٦٠/٢٤.

(٢١٤) ينظر تفسير مجاهد ص٦٣٣، ومعاني القرآن للفراء ١٠٨/٣، وجامع البيان ١١٣/٢٢، ومعاني القرآن للزجاج ٨٥/٥.

(٢١٥) ينظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٤٠/٢، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٤٥/٢، وجامع البيان ١١٤/٢٢، وتهذيب اللغة (مر) ١٩٥/١٥، واللسان (مرر) ١٦٥/٥، ومعالم التنزيل ٤٢٦/٧، والجامع لأحكام القرآن ١٢٧/١٧.

(٢١٦) ينظر الوسيط ٢٨/٤/والجامع لأحكام القرآن ١٣٥/١٧.

(٢١٧) معاني القرآن وإعرابه ٨٩/٥.

(٢١٨) معاني القرآن للفراء ١٠٨/٣.

(٢١٩) ينظر البداية والنهاية ١٢٨/١.

(٢٢٠) الحوة: مثل أحوي، والأحوي: الذي قد اسود من القدم والعتق، والأحوي: الأسود من الخضرة، ينظر: معاني القرآن للفراء ٢٥٦/٣، وتهذيب اللغة (حوي) ٢٩٣/٥.

(٢٢١) ينظر المحرر الوجيز ٢٧٠/١٢، والجامع لأحكام القرآن ٤٥/١٤، والدر المصون ٥٣/٩.

(٢٢٢) الجامع لأحكام القرآن ٤٥/١٤.

(٢٢٣) ينظر التحرير والتنوير ١٢٥/٢١.

(٢٢٤) المحور الوجيز ٢٧٠/١٢، وزاد المسير ٣١١/٦، والجامع لأحكام القرآن ٤٥/١٤.

(٢٢٥) الكتاب لسيبويه ١٠٨/٣، وسر صناعة الإعراب ٣٩٨/١.

(٢٢٦) ينظر جامع البيان ٥٢٣/١٨، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص٦٤٤.

(٢٢٧) كما في حديث (نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور) أخرجه البخاري في كتاب الاستسقاء باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم (نصرت بالصبا) ٢٢/٢ح ١٠٣٥، ومسلم في الاستسقاء باب: في ريح الصبا والدبور ٦١٧/١ح ٩٠٠، والبغوي في شرح السنة باب الخوف من الريح ٣٨٧/٤.

(٢٢٨) الظعن: سير البادية لنجعه أو حضور ماء أو طلب مرتع أو تحول من ماء على ماء أو من بلد إلى بلد، وقد ظعنوا يظعنون، والظاعن ضد الخافض، يقال: أظاعن أنت أم مقيم؟، تهذيب اللغة (ظعن) ٣٠٠/٢.

(٢٢٩) ينظر تفسير مجاهد ص٥٤٧، وجامع البيان ٢٨/١٩، ومعاني القرآن للنحاس ٣٢٨/٥، والمحرر الوجيز ٥٥/١٣، ومعالم التنزيل ٣٢١/٦، والجامع لأحكام القرآن ١٢٨/١٤، وتفسير القرآن العظيم ١٦٤/٦.

(٢٣٠) ينظر التحرير والتنوير ٥٤/٣.

(٢٣١) تهذيب اللغة (عصر) ١٥/٢، والمفردات (عصر) ص٣٣٦، واللسان (عصر) ٥٧٨/٤.

(٢٣٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير سورة البقرة باب قوله: (أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب..) ١٦٣/٥ح ٤٥٣٨، والطبري في جامع البيان ٦٨٤/٤، وسفيان الثوري في تفسيره ص٧٢ برقم ١٣١، وذكره البغوي في معالم التنزيل ٣٢٩/١، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٢٦٥/٢.

(٢٣٣) ينظر جامع البيان ٦٨٠/٤، ومعالم التنزيل ٣٢٨/١، والجامع لأحكام القرآن ٢١٨/٣، وتفسير القرآن العظيم ٢٦٥/٢، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص١١٤.

(٢٣٤) جامع البيان ٦٩٣/٤، وتفسير القرآن العظيم ٢٦٥/٢.

(٢٣٥) معجم مقاييس اللغة (حصب) ٧٠/٢، وتهذيب اللغة (حصب) ٢٦٠/٤، والصحاح (حصب) ١١٢/١، واللسن (حصب) ٣٢٠/١.

(٢٣٦) ينظر البسيط ٣٩٨/١٣.

(٢٣٧) ينظر زاد المسير ٦١/٥، ومجاز القرآن ٣٨٥/١، وتفسير غريب القرآن ٢٦٠/١، وجامع البيان ٦٦٩/١٤، ومعاني القرآن وإعرابه ٢٥١/٣، وتهذيب اللغة (حصب) ٢٦٠/٤، والصحاح (حصب) ١١٢/١، واللسان (حصب) ٣٢٠/١.

(٢٣٨) ينظر مجاز القرآن ٣٨٥/١، وتفسير غريب القرآن ٢٦٠/١، وتهذيب اللغة (خسف) ١٨٣/٧، واللسان (خسف) ٦٧/٩.

(٢٣٩) معالم التنزيل ١٠٧/٥.

المصادر والمراجع

١- أسباب نزول القرآن لأبي الحسن علي بن الواحدي، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار القبلة للثقافة الإسلامية، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.

٢- آيات الله في الرياح والمطر والأعاصير والبراكين الزلازل، د/ماهر أحمد الصوفي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت.

٣- إعراب القرآن للنحاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق: د/زهير غازي زاهد، عالم الكتب، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.

٤- أعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرءوف سعيد، دار الجيل بيروت لبنان، ١٩٧٣م.

٥- إملاء ما من به الرحمن من وجه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، لأبي البقاء: عبد الله ابن الحسين العكبري، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولي ١٣٩٩هـ.

٦- البحر المحيط لأبي حيان، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

٧- بحر العلوم لأبي الليث السمر قندي، نصر بن محمد السمر قندي، تحقيق: مجموعة من علماء جامعة الأزهر، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولي ١٤١٣هـ.

٨- بدائع الفوائد لشمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الفكر.

٩- البداية والنهاية لأبن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، مكتبة المعارف بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٧٩م.

١٠- البسيط للواحدي، علي بن أحمد الواحدي، تحقيق مجموعة من العلماء، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، الطبعة الأولي ١٤٣٠هـ.

١١- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، محمد يعقوب الفيروز أبادي، تحقيق: محمد علي النجار توزيع: دار الباز، المكتبة العلمية بيروت لبنان.

١٢- التبصرة في القراءات السبع، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق د: محمد غوث الندوي، الدار السلفية بومباي الهند، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.

١٣- التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم الجوزية، صححه وعلق عليه: محمد حامد الفقي، دار المعرفة بيروت لبنان.

١٤- تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة، محمد بن محمد الجزري، صححه وكتب هوامشه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولي ١٤٠٤هـ.

١٥- التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، نسخة مصورة عن الدر التونسية للنشر.

١٦- التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، أشرف عليه: لجنة تحقيق التراث في دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٣هـ.

١٧- تفسير ابن عيينة، سفيان بن عيينة، جمع وتحقيق ودراسة: أحمد صالح محايري، المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الأولي ١٤٠٣هـ.

١٨- تفسير سفيان الثوري، راجعة لجنة من العلماء، توزيع دار الباز مكة المكرمة، الطبعة الأولي ١٤٠٣هـ.

١٩- تفسير الحسن البصري، جمع وتوثيق ودراسة/ محمد عبد الرحيم، دار الحديث القاهرة.

٢٠- تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، عبد الله بن مسلم. تحقيق: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ١٣٩٨هـ.

٢١- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: د/ حكمت ابن بشير ياسين، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولي ١٤٣١هـ.

٢٢- تفسير القرآن العظيم من الحجرات إلى الحديد، للشيخ: محمد بم صالح العثيمين، دار الثريا للنشر، الطبعة الأولي ١٤٢٥هـ.

٢٣- التفسير الكبير للرازي، محمد بن عمر القرشي الملقب فخر الدين الرازي، مكتبة المعارف.

٢٤- تفسير كتاب الله العزيز للهواري، هود بن محكم، حققه وعلق عليه: بالحاج بن سعيد شريفي، الطبعة الأولي ١٩٩٠م.

٢٥- تفسير مجاهد بن جبر، تحقيق د/ محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة الطبعة الأولي ١٤١٠هـ.

٢٦- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، لأبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي الشافعي دار الإشراق للطباعة والنشر بيروت لبنان، الطبعة الأولي ١٤٠٩هـ.

٢٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: د/ عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولي ١٤٢٣هـ.

٢٨- تهذيب اللغة للأزهري، محمد بن محمد الأزهري، تحقيق الأستاذ: عبد السلام هارون، دار القومية العربية للطباعة ١٣٨٤هـ.

٢٩- جامع البيان عن تأويل القرآن، للطبري محمد بن جرير الطبري، تحقيق د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٣٠- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي محمد بن أحمد الأنصاري، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ١٤٠٥هـ.

٣١- جمهرة اللغة لأبن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري، دار صادر بيروت.

٣٢- الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي، الحسن بن عبد الغفار، حققه: بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي ١٤٠٤هـ دار المأمون للتراث.

٣٣- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الصبهاني، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٣٤- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للحلبي، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي الطبعة الأولى ١٤١٤هـ تحقيق: / أحمد خراط، دار القلم دمشق.

٣٥- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، عبد الرحمن بن جلال الدين السيوطي، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٣٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي، شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.

٣٧- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، المكتب الإسلامي ١٣٨٤هـ.

٣٨- السبعة في القراءات لابن مجاهد، تحقيق: د/ شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة الثالثة.

٣٩- سر صناعة الإعراب، لابن جني، عثمان بن جني، تحقيق: د/ حسن هنداوي، دار القلم دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٤٠- سنن البيهقي الكبرى، أبو بكر احمد بن الحسين بن علي البيهقي، دار المعرفة بيروت عن الطبعة الأولى بحيدر آباد ١٣٤٤هـ.

٤١- سنن الترمذي لأبي عيسي محمد بن عيسي بن سورة، دار الدعوة تركيا.

٤٢- شرح السنة للبغوي، محمد بن الحسين بن مسعود الفراء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وزهير الشاويش.

٤٣- الصحاح للجوهري، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٤هـ.

٤٤- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل، دار الدعوة تركيا.

٤٥- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، دار الدعوة تركيا.

٤٦- ضعيف الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ.

٤٧- ضعيف سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، أشرف علي إخراجه: زهير الشاويش المكتب الإسلامي الطبعة الأولي ١٤١١هـ.

٤٨- الضوء المنير على التفسير، جمع: علي الحمد الصالحي، مكتبة دار السلام.

٤٩- العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د/ مهدي المخزومي ود/ إبراهيم السامرائي مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت لبنان، الطبعة الأولي ١٤٠٨هـ.

٥٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، نشر رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض.

٥١- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني دار المعرفة بيروت.

٥٢- الكامل في التاريخ لابن الأثير علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير الملقب بعز الدين، دار الكتاب العربي، الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ.

٥٣- الكامل للمبرد، محمد بن يزيد المبرد، علق عليه: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي.

٥٤- الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف لأبن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ملحق بتفسير الكشاف، دار المعرفة بيروت، توزيع دار الباز مكة المكرمة.

٥٥- الكتاب لسيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجبل بيروت الطبعة الأولي ١٤١١هـ.

٥٦- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري، محمود ابن عمر الزمخشري، دار المعرفة بيروت.

٥٧- الكشف عن وجوه القراءات السبع، لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق الدكتور: محي الدين رمضان، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ مؤسسة الرسالة بيروت لبنان.

٥٨- لسان العرب لابن منظور، محمد بن مكرم بن علي بن منظور، دار صادر بيروت الطبعة الأولي ١٤١٠هـ.

٥٩- المبسوط في القراءات العشر، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني، تحقيق: سبيع حمزة حاكمي، مؤسسة علوم القرآن بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ.

٦٠- مجاز القرآن لأبي عبيدة، تعليق: محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ.

٦١- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي، علي بن أبي بكر، دار الكتاب العربي بيروت لبنان الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ.

٦٢- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة، تحت إشراف وزارة الشؤون الإسلامية بالمملك العربية السعودية، عام ١٤٢٥هـ.

٦٣- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: مجموعة من العلماء، دار سزكين للطباعة والنشر، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ. ٦٤- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب أبن عطية، دار الكتاب الإسلامي القاهرة.

٦٤- مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لأبن خالويه، عني بنشره ج/برجشتراسر، مكتبة المتنبي القاهرة.

٦٥- المستدرك على الصحيحين للحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي، دار الكتاب العربي بيروت.

٦٦- المسند للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق مجموعة من العلماء، بإشراف د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، توزيع وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

٦٧- مسند أبي يعلي الموصلي للحافظ أحمد بن علي بن المثني التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار الثقافة العربية بيروت، الطبعة الأولي ١٤١٢هـ.

٦٨- مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي، محمد بن عبد الله، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ.

٦٩- المصنف في الأحاديث والآثار للحافظ أبي بكر ابن أبي شيبة، الدار السلفية بمبي الهند، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.

٧٠- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية للحافظ ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني، تحقيق: الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، توزيع دار الباز مكة المكرمة.

٧١- معالم التنزيل للبغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، دار طيبة للنشر الرياض ١٤٠٩هـ.

٧٢- معاني القرآن وإعرابة للزجاج، إبراهيم بن السري، شرح وتحقيق: د/ عبد الجليل عبده شلبي، الطبعة الأولي ١٤٠٨هـ، عالم الكتب بيروت لبنان.

٧٣- معاني القرآن للنحاس، أبو جعفر للنحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، الطبعة الأولي ١٤١٠هـ، معهد البحوث العلمية جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

٧٤- معاني القرآن للفراء، أبو زكريا يحي بن زياد، عالم الكتب بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٠م.

٧٥- معجم البلدان للحموي، ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، دار إحياء التراث العربي بيروت، طبع ١٣٩٩هـ.

٧٦- معجم مقاييس اللغة لابن فارس، السين بن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل الطبعة الأولي ١٤١١هـ.

٧٧- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن القيم، دار الكتب العلمية بيروت.

٧٨- المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة بيروت لبنان.

٧٩- النشر في القراءات العشر لابن الجزري، محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري أشرف على تصحيحه: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٨٠- النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، دار الفكر للطباعة بيروت.

٨١- الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي، علي بن أحمد، تحقيق: مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولي ١٤١٥هـ.